15 ème Année No. 738

Lundi — 25 — 8 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٣٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ٩ شوال سنة ١٣٦٦ — ٢٥ أغسطس سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

عـــبر لمن يعتـــبر

للأســـتاذ محمود محمد شاكر

فى اليـوم الخامس من أغسطس ١٩٤٧ ارتفعت مصر والسودان بقضيتها إلى مجلس الأمن تطلب النصفة من بريطانيا التى اعتدت على استقلالها واحتلت أرضها من منبع النيل إلى مصبه ، ووقف رئيس وفد مصر والسودان محمود فهمى النقراشى باشا يميط اللثام عن السياسة البريطانية منذ سنة ١٨٨٢ ، وكان لابد له من أن يكشف طرفاً من سوءات هذه الدولة التى قام كيانها على استعباد الشعوب وإذلالها واهتضام حقوقها . وكان الذى كشفه شيئاً ضئيلا إذا قيس بما كان يمكن أن يقال أو يكشف من الأساليب الخبيثة التى دأبت بريطانيا على التذرع بها إلى عدوانها الوحشى على الأمم فى القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر الميلادى . وكان رئيس وفد مصر والسودان يذكر الماضى ويروى من التاريخ أصدق رواية فى أعف لفظ ، فأبى له أدبه أن يصف أفعال بريطانيا باللفظ الذى ينبغى أن توصف به ، والذى سوف يصفها به التاريخ بعد أن تسقط هذه الدولة من عداد الدول التى يكون لهـا فى هذه الأرض سلطان يقوم على القوة الناشبة ، والغاية الكاذبة ، وعلى التضليل والافتراء والعبث بعقول الناس .

ولم يكد النقراشى يفرغ من عرض قضية بلاده على أعضاء مجلس الأمن ، حتى هب مندوب بريطانيا السير ألكسندر كادوجان يروى لمندوبى مجلس الأمن تاريخ هذا العدوان البريطانى رواية ملفقة مبتورة حشوها العبث بالتاريخ ، والاستهانة بالجنس البشرى ، والاستخفاف بعقول الذين يسمعون روايته المدلسة عن تاريخ حقبة من الدهر يستطيع كل مندوب ممن يسمعونه أن يفتح بعدها أى كتاب من كتب التاريخ الصحيحة ، فيعرف مقدار السخرية التى سخر بها هذا الرجل من سامعيه . وكان يسوق هذه الرواية المزيفة بأسلوب الواثق المطمئن بل بأسلوب الصادق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . ولا ريب فى أن السير ألكسندر كادوجان هو أول من يعلم أن الذى يقوله باطل كله ، ولكنه رجل من ساسة بريطانيا — أى رجل من أعظم الممثلين الذين يجعلونك تحس أن المسرح قد انقلب تحت عينيك حقيقة واقعة .

ونحن لن نعلق على ما قاله النقراشى باشا ولا على ما قاله السير كادوجان ، فالحق أبين من أن يحتاج إلى إيضاح لمن أراد الحق والتمسه وحرص التثبت منه ، ولست أظن أن أحداً من مندوبى أمم مجلس الأمن يخفى عليه وجه الحق فى الذى سمع من الرجلين . فإن كان بناء مجلس الأمن قائماً على العدل والإنصاف وإيتاء كل ذى حق حقه ، فقد نالت مصر إذن حقها من قاضيها كاملا غير منقوص ولا مشروط بشرط . وإن كان مجلس الأمن هو سوق

الرقيق الحديثة التى أنشأتها الأمم الغالبة لكى تبيع خلق الله وتشتريهم على الهوى فإن مصر والسودان سوف تعلّم هذا المجلس علماً جديداً لم يكن يتوقعه من أمة ضعيفة أضعفها الاستبداد البريطانى على مدّ خمس وستين سنة — لأنها أمة قوية قد علمها هذا الاستبداد أن الحقوق تنال بالجهاد المر ، وبالدم المهراق ، وبالإيمان الذى لا يتضعضع .

ولقد كان فيما قاله النقراشى وفيما قاله كادوجان عبر لمن أراد أن يعتبر ، ونحن العرب أحوج الناس اليوم إلى الاستفادة من العبر الماضى ، فإن جهاد مصر والسودان حلقة من حلقات الجهاد الذى كتب علينا منذ احتلت بلادنا بريطانيا وفرنسا وسواهما من الأمم التى استعانت على ضعفنا وغفلتنا بقوتها ويقظتها وجشعها الذى لا يشبع ولا ينطفىء .

فأول هذه العبر أنه ينبغى للمجاهدين فى سبيل بلادهم أن يحذروا كل الحذر من الخوف، فإن الخوف آفة الجهاد ، وما ساور الخوف قلباً إلا انتزع منه البصيرة التى هى رائد كل مجاهد . وما مزق الخوف امرؤ من قلبه إلا زلزل بجرأته قلب خصمه وجعله يضطرب بين يديه وإن كان أقوى منه بأساً وأشد صولة . وقد مزق النقراشى الخوف من قلبه ، فوقف كادوجان بين يديه مضطرب الحجة حتى لم يجد لنفسه مناصاً من أن يلجأ إلى الأكاذيب القديمة التى ألفتها بريطانيا وبرعت فى تزويقها وتزويرها تريد بذلك أن تسحر عقول الناس . ولو كان الساسة العرب قد حرصوا على أن يكون هذا موقفهم فى كل أمر وفى كل عهد وفى كل ساعة ، لما أتيح للاستعمار البريطانى والفرنسى أن يبقى ضارباً بجذوره فى بلادنا إلى هذا اليوم من أيام الناس . فهذه جرأة اللسان ، فعلى ساستنا منذ اليوم أن يتبعوا ذلك بجرأة أخرى هى جرأة العمل ، ولو فعل الساسة أفعالهم بجرأة وشمم وإباء على الضيم ، لما رأينا اليوم بلداً كمصر والسودان يعج بالمستهترين من الأجانب والشريدين وصاليك الأمم ، يستولون على أمواله وأراضيه وأخلاق بنيه باسم حرية المهاجرة وحرية التجارة وحرية العمل . لقد أظلهم الاستعمار البريطانى بظله وحماهم بحمايته حتى بات المصرى والسودانى غريباً فى بلاده ، يأكله كل طارىء ، ويدعه جوعان عريان منبوذاً فى بلاده وتحت سمائه .

وعبرة أخرى هى أن التساهل مخافة العواقب شر كله . فقد رأى بعض ساستنا أنهم إنما يفعلون خيراً كثيراً لبلادهم إذا تساهلوا لبريطانيا فى بعض الحقوق ، ظناً منهم أن ينالوا من وراء ذلك حقوقاً أخرى هى أولى بالتقديم والنظر والاهتمام ، فكانت العاقبة أن دخلنا مع بريطانيا فى الدائرة المغلقة التى يسمونها « المفاوضة » . فإذا نحن نضيع حقوقنا كلها جملة واحدة ، وإذا بريطانيا تريد أن تحتج علينا اليوم بما تساهل به أولئك الساسة فى فى حقوق بلادهم ، فتأكل علينا حقنا كله حين تريد أن تمنعنا من أعظم الحقوق البشرية وهى الحرية . وتريد أن يقطع قلب مصر بقطع السودان عنها ، لأن قوماً من الساسة غفلوا زمناً طويلا عن رفض كل اتفاق لا يشمل السودان كما شمل الجزء الشمالى من وادى النيل وهو مصر ، فارتضوا أن يعلقوا مسألة السودان ويأخذوا من عبث بريطانيا مازورته لهم وخدعتهم به ثم هى اليوم تمن علينا أنها أعطتنا تلك الفضلات التى لا يعبأ بها إلا الذليل الخانع المقيم على الضيم

وعبرة ثالثة هى أن زعماء الثورة على العدو ينبغى أن يظلوا أبداً زعماء الثورة ، لا رؤساء حكومات تحت ظل حماية مقنعة تسمى استقلالا كذباً وتضليلا فى العرف الدولى . فكان ينبغى لهؤلاء الزعماء أن يظلوا بمنجاة من إثم الحكم تحت ظل الاستعباد البغيض وأن يكونوا دائماً أيقاظاً لا تنيمهم شهوة الحكم ، وبذلك يضمنون لبلادهم أن تظل يداً واحدة على العدو ، وأن تظل يقظة متنبهة لا يخدعها لفظ « الاستقلال » عن الخبث الذى انطوى عليه وأن يصارحوا الشعب دائماً بالحقيقة التى لا تستر ، وهى أنه صار « مستقلا » فى العرف الدولى ، وأن يكشفوا له ما استطاعوا عن خدع الاستعمار الذى يعبث بهم . وإلا فأى خديعة كانت أكبر على هذا الشعب من خديعة الناشئة فى المدارس والبيوت ، وهم يقرأون ويسمعون أن مصر دولة مستقلة وهى اليوم تقف لتقول للناس على رؤوس الأشهاد فى مجلس الأمن أن الاستقلال الذى ضمنته بريطانيا ! ! كان استقلالا مزيفاً ، لأن الجنود البريطانية كانت لا تزال تحتل بلادنا ولأن السفير البريطانى كان ينصب الحكومات المصرية ويقيلها كما يشاء وتشاء دولته المستعمرة لبلادنا . لقد ظن أولئك الرجال أن هذه سياسة وكياسة وحسن

تدبير ، فإذا هى غفلة وحماقة وسوء تقدير . ولولا يقظة هذا الشعب الأبى الكريم ، لما استيقظ هؤلاء الزعماء البتة ، ولمضوا إلى النهاية فى التنازع على الحكم وشهوات الحكم وفتن الحكم ، فالشعب هو الذى انتهى بنا إلى مجلس الأمن لا الزعماء ولا أولئك الساسة .

وعبرة رابعة هى أنه ينبغى لزعماء الثورة أن لا يقبلوا البتة مفاوضة الغاصب على حق من حقوق البلاد ، فإن حقوق الحرية مترابطة لا ينفك بعضها من بعض ، فكيم يفاوض الإنسان إنساناً قد سلبه حقوقه ؟ إنها كلمة واحدة : « هات حق » ، ولا تدع المطالبة بالحق كاملا حتى يتركه لك أو تموت دونه . وما دام الغاصب لا يستطيع أن يفنى شعباً بأسره ، فالشعب هو الظافر المنصور فى النهاية ، مهما لقى من عذاب وتنكيل واضطهاد وبؤس . ولو كان هذا من فعل مصر والسودان منذ سنة ١٨٨٢ لما انقضت سنوات بعد سنة ١٩١٩ سنة الثورة ، حتى كان الغاصب قد أسلم إلينا حقوقنا كاملة بلا معاهدة ولا مفاوضة . ولكن زعماء الثورة رموا بأنفسهم فى المفاوضات ، فكانت العاقبة أننا بقينا نفاوض بريطانيا سبعة عشر عاماً ، فإذا هى تعطينا معاهدة سنة ١٩٣٦ تحت الضغط والقهر والتهديد ، وإذا هذه المعاهدة احتلال تام ، ولكنه سمى فى العرف الدولى « استقلالا » .

وعبرة خامسة هى أن الذين يدخلون المفاوضات ويعقدون المعاهدات تحت ظلال السيوف ، وبضرورة التهديد والقهر ، كان ينبغى عليهم أن يكونوا تاماً غير زعماء الثورة ، أما زعماء الثورة حين يفعلون ذلك ، فهم بين رجلين : إما مدلس كذاب يخدع الناس ويقول للناس هذه معاهدة الشرف والاستقلال ، وهى ليست سوى معاهدة للاحتلال الدائم ، وإما رجل ضعيف الرأى منخوب الفؤاد يوقع على المعاهدة ثم لا يجرؤ أن يقول لشعبه إن هذا الذى وقعت عليه احتلال لبلادكم فاحذروه وارفضوه وثوروا فى وجهى ووجه من رضيه منى . وهذا الثانى لن يستطيع أن يقول ذلك ، فهو مضطر إذن إلى التلفف والتلفيق والسكوت وادعاء الشجاعة حين يقول . « هذه معاهدة لولا القهر والتهديد لما وقعتها » ، ويقولها فى غمرة تلك الأمواج الهائلة من الخداع والأكاذيب التى اصطلح على نشرها بين الشعب التافل المنكوب

زعماء من أنفسنا ، وساسة من أخبث ساسة بريطانيا فى هذا القرن . يا له من عبث أيها الساسة المخادعون ! وتبت أيديكم يوم وقعتم وثيقة أراد بها الغاصب إذلالكم وإذلال بلادكم فقبلتموها ، وهو اليوم مصر على أخذ بلادكم بما جنت أيديكم من شرور تلك المعاهدة الخبيثة التى زعمتم أنها فرضت عليكم فرضاً . وقد كانت لكم مندوحة عن قبولها لولا الضعف والخور والجبن وشهوة الحكم التى استولت على قلوبكم .

وعبرة سادسة هى أن بريطانيا وكل دولة مستعمرة من هذه الدول الأوربية لا تتورع عن اتخاذ كل وسيلة تبلغ بها غايتها ، فمن أجل ذلك ينبغى للشعب أن يعرف منذ الساعة الأولى رجاله ورجال عدوه ، وأن يسم الخونة بسمة لا تزول ، وأن يتناقل هذا التاريخ عاماً بعد عام وجيلا بعد جيل فى البيت والمسجد والمدرسة والمجالس ، فهذا وحده هو الكفيل بأن يعرف الشعب حقيقة كل زعيم تسول له نفسه أن يستغل غفلة الناس أو ذعرهم أو لهفتهم فيغرر بهم فى مزالق السياسة الاستعمارية ، فإن مصر والسودان ظلت أعواماً تأبى أن تعترف باتفاقية سنة ١٨٩٩ التى فرضتها بريطانيا على مصر والسودان على يد رئيس وزراء كان خليقاً أن يخون بلاده ، ثم جاء الموقعون على معاهدة سنة ١٩٣٦ فقبلوا أن يكون لهذه الاتفاقية الباطلة التى لم تعترف بها مصر قط — ذكر فى معاهدتهم الوبيلة الخبيثة . فلو كان الشعب يومئذ على ذكر لما كان من شئون الخونة السابقين وما فعلوه ، لما جازت عليه الكلمة اللعونة فى معاهدة سنة ١٩٣٦ ، ولثار يومئذ على هؤلاء الزعماء لأنهم أهدروا كل جهاده الماضى ، وكل ما أراق من دماء وأضاع من جهود ، وأنفق من سنين بنص موءوه فى معاهدة موبوءة .

ولن نفرغ من ذكر العبر الكثيرة التى توحى بها هذه الساعات فى المعركة الفاصلة بيننا وبين بريطانيا فى مجلس الأمن وفى كل عبرة من هذه العبر خير كثير يرجى أن لا يفوت العرب إذا حذروا وانتبهوا وآثروا السلامة مما وقعنا نحن فيه .. ومن حسن الحظ أن أكثر زعماء العرب اليوم من مراكش وتونس والجزائر وليبية وفلسطين والعراق هم اليوم أشد إحساساً من أسلافهم بالتبعة الملقاة على كواهلهم ، وأقوى إيماناً بالحقوق الإنسانية من بعض زعمائنا فى الماضى ، ولكن ينبغى لهم أن

القسم التاسع :

فرنســـا ومستعمراتها

للأســـتاذ أحمد رمزى بك

قال ضابط البحرية اليابانى :

« إنك لم تفهم بعد الدرس الذى تلقيناه من أجدادنا بهزيمتهم وموتهم : إنه درس صبر وعناد ويقظة واحتراس ومكر وخديعة . لكى ننتصر على أعدائنا ذهبنا لمدارسهم وكانت عقولنا لا تهضم تعاليم الغرب وأساليبه . فشعرنا بحاجتنا إلى عقلية أوروبية فأقدمنا بكل صعوبة وألم وحسرة على التحرر من أشياء عزيزة علينا للحصول عليها . ولكن هذا التغيير كان لازماً نعم لأجل الخلاص لأجل إنقاذ الوطن لكي ننتصر على الأعداء فى الميدان » .

(من كتاب المركة)

كفاح الجزائر أمام جحافل فرنسا

إننا لا نحاول سرد حوادث هذا الكفاح ، لأن من السهل تتبع معاركه وأدواره وحلقاته من كتب التاريخ فى مختلف اللغات ولذلك سنكتفى بإعطاء فكرة إجمالية ، أو رسم صورة عامة من التى يراها واقف على مرقب أو مركز للرصد من على رابية عالية تشرف على الحوادث والتطورات وعلى مواقع القتال . ونرجو أن نوفق فى إخراج التاريخ صورة حية وذكرى لمن شاء أن يتذكر من دروسه وتجاربه وعبره حتى لا تتكرر الأخطاء مرة أخرى فى تاريخنا وكفاحنا .

كانت حكومة الجزائر الإسلامية من الحكومات التى ليس لها شبيه أو مماثل فى التاريخ إذ كانت تابعة للدولة العثمانية ولكنها تتمتع بسيادة وحرية ، وكانت خارجة على القانون الدولى والعرف السائد بين الأمم الأوروبية ومع ذلك فهى تفرض الأتاوات على دول الغرب وتتقاضى رسوم المرور فى عرض البحر ، وإلا هاجمت أساطيلها المراكب البخارية ، وأحياناً تغور هذه الدول وموانئها ، ولهذا سالمتها الحكومات المختلفة وأذعنت لقبول ما تفرضه هذه الحكومة عليها ، فكانت فرنسا ترسل إليها هدايا معلومة مالية أحيانا وأخرى ممدات وآلات حربية ، وكان هذا شأن بريطانيا معها والدانيمارك ومملكة صقلية والبرتغال والسويد والنرويج حتى ولايات ألمانيا والولايات المتحدة خضعت لهذا النظام العجيب الذى فرضته حكومة قليلة العدد ولكنها كثيرة البطش .

وكانت قواتها المسلحة تتراوح بين ١٥ و ٢٠ ألف مقاتل من الجنود الأتراك أو أبناء هؤلاء من أمهات وطنيات وكان ينضم إليها رجال من قبيلة زواوه وهى التى حرفها الفرنسيون فأصبحت فرق الزواف الشهورة التى قامت على متطوعى هذه القبيلة وبقايا جند حكومة الجزائر النظامية .

وعلى هؤلاء الجنود اعتمد الدفاع عن المدن الساحلية عند

يجتنبوا كل الاجتناب أن يقبلوا مفاوضة الناصبين أو معاهدتهم أو الدخول معهم فى حديث السياسة والكياسة واللباقة ، فإن هذا وإن أفاد قليلا ، فإنه شر مستطير على مستقبل الشعب فى الشئون السياسية ، وفى النواحى الأخلاقية وحسب هؤلاء الزعماء العرب ما جربته مصر منْ مطاولتها والد لها أكثر من تسع وعشرين سنة باسم المفاوضات والمعاهدات ، حتى فقد الشعب كثيراً من إيمانه بحقوقه ، ولولا أن الله أتاح لنا هذه الحرب الأخيرة لتنفض عن عيوننا النوم والتخدير الذى أصابها باسم المفاوضة لظللنا إلى اليوم نياماً تجرنا بريطانيا وراءها طمعاً منا فى أن ننال شيئاً من حقوقنا بمفاوضتها ومعاهدتها

أيها الزعماء العرب لاتخونوا بلادكم : أى لاتفاوضوا بريطانيا أو سواها من الدول المستعمرة ولا تعاهدوها ولها فى بلادكم ظل من سلطان ، ولا تخافوها ولا تخشوا لها بأساً ولا قوة واحرصوا على أن تبقى شعوبكم عالمة بحقيقة ما يحيط بها بكل أسلوب تستطيعونه ، وإياكم والحكم فإنه الفتنة المبيدة والآفة الحالقة والبلاء المبين . لقد كان لكم فينا عبرة فاعتبروا ، وقفوا منذاليوم أيقاظاً لا تغفلون ، فربَّ ساعة سوف تأتى علينا وعليكم فنناديكم للجهاد ، فهبوا معنا واحذروا أن يكون بينكم زعيم يسول لكم أن الخير فى الرضى والتراضى والتساهل ، فإن ذلك هو الوبال ، وهو آخرة العرب إن فعلتم . إن مصر والسودان قد بدأت أول الجهاد ؛ فاستعدوا أيها العرب !

محمود محمد شاكر

مهاجمة الفرنسيين ولما ثبتت قواعد حكمهم جندوا من الأسرى أول فرقة وطنية للاستعانة بها .

أما في الداخل فقد قامت قوة الدفاع على جماعات القبائل من رجال القبائل وهم مشاة وفرسان على طريقة حروب البادية ، ولما اشتدت المعارك فكر الأمير عبد القادر في إدخال النظام العسكري الحديث مقلداً المحاولات التي حاولها كل من محمد علي والسلطان محمود العثماني ، ولا شك في أن هذه المحاولات قد بهرت أنظاره وتطلع إليها وحاول تقليدها .

وفي سيرة الأمير ذكر ابتداء هذه الحركة وانتشار الدعوة إلى تجنيد الأجناد وتنظيم العساكر تحت اللواء المحمدي وإيجاد دفاتر لقيد الجنود الذين بدأوا تدريبهم وأتموا تعليمهم ورسم الذين حملوا السلاح منهم ، كما فيها وصف كامل لأصناف الفرق من مشاة وفرسان ومدفعية وطريقة التعبئة والسير والنزول في المعسكرات ويظهر أن هذه القوة مع اهتمام الأمير عبد القادر بها لم تكن هي التي يقع عليها القتال وحدها وإنما كان الكفاح موكولا إلى رجال القبائل وكانت هي بمثابة قوات ثانوية مساعدة ومكملة .

أما الفرنسيون فكانوا على علم تام بطبيعة الأرض الجزائرية من ناحيتها الجغرافية والطبوغرافية ولديهم الخرائط المفصلة عنها ، فقد أثبتت المراجع الرسمية أن نابليون الأول أرسل ضابطاً فرنسياً إلى الجزائر عام ١٨٠٨ وكلفه أن يدرس بالتفصيل مشروع الحملة الفرنسية ووضع الخطط العسكرية الشاملة ، وقد قام هذا الضابط بمهمته وصحح المواقع على الخرائط ورفع تقريراً وافياً عن الشاطىء الإفريقي والأماكن التي تصلح لإنزال الجنود وأشار إلى الطرق والآبار والوسائل التي تؤدي إلى حشد القوات وربطها والسير في حلقات الحملة ، ولم يكن لدى الفرنسيين عند عدوانهم سوى إخراج هذا التقرير من ملفات وزارة الحربية وتقييد ما فيه وهذا ما حدث في عدوان سنة ١٨٣٠ . إذ أنزلت الفرق في الأماكن المختارة في هذا التقرير وتحت تجارب حملة مصر عند احتلالها مدينة الإسكندرية واختيارها منطقة العجمي التي تشبه سيدي فرج

ولم يكن الفرنسيون على جهل بأساليب القتال لدى المسلمين ، فهم قد حاربوا المماليك في معركة أسيابة ورأوا ما يمكن أن تقوم به أساليب القرون الوسطى أمام جنود مهيأة على الطرق الحديثة ، ثم لم يهملوا تتبع التطور الذي أدخل على أنظمة جيوش المسلمين ، فقد كان من ضباطهم وقوادهم من رافق حملات مصر ضد الوهابيين وكانوا في الصفوف الأولى يقيدون حركات المصريين ودفاع الوهابيين ويكشفون عورات الجانبين ثم يستفيدون من كل ذلك في حروبهم بالجزائر .

واختير للقيادة البرية الماريشال بودمون وهو من رجال سنة ١٨١٥ أي من الضباط الذين قاتلوا في معركة واترلو وحضروا معارك نابوليون فأسندت إليه آمرية حملة بنيت على تقرير ضابط من ضباط نابوليون ، وكان على الأسطول الأميرال دوبريه ولكل منهما طابعه الخاص ورغبته في الانفراد والتسلط فما لبث أن دب الخلاف بينهما ولولا تعليمات الحكومة الصريحة أنه إذا اختلف الرأيان، فضل رأي الريشال وأسندت إليه القيادتان البرية والبحرية لاستفحل بينهما النزاع ولفشلت الحملة .

ولعل أعظم ما ساعد الفرنسيين على التغلب هو أعمال المدفعية التي تجرها الخيول فقد امتازت منذ الساعة الأولى كما ذكرنا بقوة نيرانها وتوفيقها في إصابة الأهداف وسرعة حركتها ، فكانت أول عامل من عوامل النصر لديهم ، كانت كمدرعات هتلر وفرقة البانزر الألمانية في الحرب الأخيرة ، وهي الميزة التي كانت لدى الفرنسيين على جند حكومة الجزائر وعلى العرب المجاهدين ولولا هذه القطع من المدفعية لكانت الحرب بين الفريقين على مستوى واحد من تكافؤ فرص وتكافؤ معدات القتال .

فلننظر إلى ساحل ممتد مئات الأميال عليه مدن وموانىء متعددة ويتكون الداخل من سلاسل جبال ووديان ورمال تصلح للحروب ويسمح للقبائل والعشائر التي تسكنها أن تتولى عملياتها بكل سهولة ضد الجيش المهاجم سيما وهي من جماعات ألفت الحروب على هذا الميدان نزلت قوات فرنسا بمعداتها الثقيلة ومهماتها الأوربية لتواجه أهل البلاد ولديهم ثلاثة أصناف من المقاتلة . جند حكومة الجزائر وحكام المقاطعات الجند النظامي الذي أنشأه الأمير عبد القادر ثم العمود الفقري للقتال وهم رجال القبائل الذين لبوا دعوة الجهاد .

هذه هي حرب الجزائر التي اشتدت وطأتها على أربعين ألفاً من الجنود الأوروبيين اصطلوا بمعاركها ومشوا إليها تحت وهج

الشمس، فتغيرت سحنتهم وتبدلت لديهم ملابس الميدان وأصبحوا مع الزمن كقطيع منفصل عن العالم لا يعرف سوى الحرب والدمار وإسالة الدماء على الأرض الإفريقية . هذا جيش إفريقيا الفرنسي الذي ولد ونشأ وترعرع في معارك الجزائر وحروبها القاسية .

ودارت رحى الحرب سنوات والهزائم تتوالى والمصاعب تتضاعف وليس لدى الفرنسيين الخبرة الواسعة بالإدارة والحكم فهم تارة يجنحون إلى الشدة ويقنعون أنفسهم أنها هي الحزم وأخرى يتقربون زلفى إلى الأهالي ، وفي أوقات يقدم قوادهم على عمليات حربية فيها المجازفة والتسرع فترتد عواقبها وخيمة عليهم

من وسط هذه النكبات ظهرت فكرتان : الأولى إنشاء فرق من الجنود الوطنيين لخدمة فرنسا والثانية إنشاء المكاتب العربية التي أطلق عليها في النهاية اسم المكاتب الوطنية .

وقد ظهرت بوادر النجاح في الناحيتين إذ بالاعتماد على الفرق الوطنية القاتلة وبعد احتلال مدينتي بون ووهران واتباع خطة الدفاع أمكن إنقاص القوات الفرنسية من ٣٧ إلى ١١ ألفاً فعد هذا نجاحاً للقيادة .

أما المكاتب العربية فهي التي وضعت سياسة التخريب والتشريد وهي إحراق المناطق المزروعة ومصادرة قطعان الماشية التي تملكها القبائل العاصية والاستحواذ على الأطفال والنساء كرهائن والفتك بهم إذا استمرت الحرب وأخيراً تطور هذا النشاط إلى القمة واتجه إلى بذر الشقاق بين عناصر وطوائف الأمة الجزائرية ، وخلق قضية العرب والبربر فكسبت هذه المكاتب في هذا النشاط من المعارك أضعاف ما كسبته فرنسا بقوة السلاح .

وكان الأمير عبد القادر أول ضحايا عمل هذه المكاتب ، فإن قواد فرنسا حاولوا كثيراً أن يعقدوا اتفاقاً معه ولما توصلوا لذلك واعترفوا باستقلاله وإمارته ، سلطوا مكاتبهم عليه ووجهوا المطاعن بواسطة وكلائهم وخدامهم فقالوا إنه حالف الكفار وأعداء الدين فأصبحت بيعته باطلة ووكالته على الناس غير قائمة ، وعرفت هذه المكاتب السياسية أن تجعل بين أبطالها من هم من رجال الدين والطرق والزعامة ، وجندت من يتظاهر بالجهاد والوطنية ، وأصبحت مع الزمن من أخطر المنظمات الاستعمارية وأشدها وطأة بما تملك من الوسائل والقوى الخفية مما يعجز الناس عن تصديقه

ولقد عشنا في كثير من بلدان الشرق ورأينا أمثال هذه المنظمات تعمل في هدم الكيان الإسلامي والاستقلالي ، ورأينا أناساً يقودون المظاهرات الوطنية ويخطبون في الجماعات ويجاهرون بمبادىء متطرفة ، ويكتبون عن أنظمة للحكم يسارية أو نازية ثم يكتشف بعد زمن طويل وبعد فوات الفرص ، أنهم مقيدون كخدم لهذه المنظمات الخطرة يتلقون وحيها ويعملون بأوامرها ، وقد وصل بعضهم إلى المال والمركز والجاه تحت ستار التضحية والعمل والاخلاص فطوبى لهم .

ولهذا يجدر بالأحزاب والمتصدرين للجهاد في سبيل المثل العليا أن يرقبوا الأنصار والاتباع قبل الخصوم والأعداء وأن يقوموا من بين وقت لآخر بتربية صفوفهم وإجراء حركة تطهير لأن الدول الاستعمارية وطدت سلطانها بهذه المنظمات وبمن يتبعها من الرجال النابتين في كل جهة والذين يشابهون الاستعمار وتلعنه ألسنتهم ويتظاهرون بالتطرف لإخفاء حقيقة أمرهم

ولقد تمكن الأمير عبد القادر من إيجاد دولة عربية مستقلة عاهدت الفرنسيين على السلام واحتفظت بقواها كاملة بعد أن حققت ما ترمي إليه بانتصارها في ميدان القتال ولكن الدولة التي عاهدها كانت تفكر قبل أن توقع على المعاهدة في نقضها فما أن وقعت عليها حتى بدأت ترسل النجدات تترى وأخذت تثير القبائل عليه

ويقول الفرنسيون في ذلك « إننا لم نعقد مع أمراء المسلمين معاهدة وإنما عقدنا هدنة لكسب الوقت حتى يتم تحطيم الجبهة الشرقية ثم نعود إليهم في وهران » .

هذا ما حدث فإن ضعفهم تحول فجأة من جبهة الأمير عبدالقادر إلى جبهة قسنطينة على حدود تونس حين هبت فرنسا قواتها بكاملها وزحفت على المدينة في هجمتين فشلت في الأولى فبراير ١٨٣٧ وكان ذلك قبل التوقيع على معاهدة تفنا مع الأمير ونجحت في الثانية بعد نقل حاميات الغرب فاقتحمت المدينة المحصنة في أكتوبر سنة ١٨٣٧ .

ومن ذلك يتضح أن قواد فرنسا بعد أن أدركوا فداحة حرب الجزائر أخذوا ينسقون بين خططهم الحربية فوضعوها على مراحل إذا أتموا مرحلة انتقلوا لغيرها ، ووضعوا المبدأ الثابت وهو شراء النصر والغلبة بأي ثمن حتى لا تفقد فرنسا هيبتها العسكرية ،

ولذلك وصلت جيوشهم إلى ٥٦ ألف مقاتل فى سنة ١٨٤٠ ، واستدعت فرنسا بعض الكتائب الممتازة من أصناف القناصة التى كانت تعد من قبيل فرق الكوماندو فى العصر الحاضر مع اختلاف التدريب أى زهرة الجيوش الفرنسية .

أما الأمير فقد آمن بعد مفاجئة الفرنسيين لعاصمته ، بالفرق الكبير « بين الجنود المنتظمة والجنود المتطوعة » ولذلك انتهز فرصة المعاهدة وعزم على إنشاء جيش نظامى حديث : « فعقد مجلساً عاماً من رجال الدولة وأعيان الرعية وخطب فيهم خطبة أوضح فيها فوائد العسكر النظامى ومنافعه وأخبرهم أنه اعتزم على تنظيم عدد منه ، فأجابه الجميع ... ونودى أنه صدر أمر مولانا ناصر الدين بتجنيد الأجناد وتنظيم العساكر ... فمن أراد الدخول تحت اللواء المحمدى ويشمله عز النظام فليسارع إلى دار الأمارة والمعسكر ليفيد اسمه فى الدفاتر الأميرية » .

ومع انتصارات فرنسا فى جهة قسنطينة أخذت تظهر بين جنودها آثار الحروب الإفريقية ومتاعبها ، فقد برهنت سنوات السلم ، ازدياد حوادث العصيان بين الجنود الأوروبيين ومخالفة الأوامر وعدم الإذعان للقواعد المعمول بها فى الفرق الفرنسية بأوروبا نتيجة لاختلاف البيئة والجو ، بل إن مضى السنوات أظهر اختلاف الأنظمة الصحية ، وأساليب التغذية وتموين الفرق مما أدى كما قلنا إلى الاستهانة بتطبيق القواعد العسكرية وظهور حوادث العصيان ، وأعقب ذلك نكبة مليانة التى ظهر للعيان ضعف قوة القتال لدى الفرق الفرنسية الصميمة وفقدان الروح العسكرية ودرجة الضبط والربط التى عرفت عن الجيش الفرنسى إزاء هذه النكبة اضطرت فرنسا إلى تغيير قيادتها العامة فى الجزائر برمتها وأجبرت على إدخال أنظمة جديدة للجيش وإلى العمل على رفع مستوى الحياة فى الثكنات والمعسكرات والتشديد فى المحافظة على روح المقاتلة والكفاح فى المستوى المعتاد بعد أن هبطت هبوطاً ملموساً فى المعارك الأخيرة .

ولم يستفد الأمير عبد القادر من هذه الفوضى الضاربة أطنابها لما ينقصه من خبرة والمام بأساليب الأوروبيين وأنظمتهم وإلا لضربهم ضربة مميتة .

ومن كل ذلك نخرج بنتائج مؤلمة :

إن جهاد أهل الجزائر كان مجيداً ومشرفاً لهم ولكنه لم يكن موحداً تتولاه هيئة قيادة عامة كان جهاداً مرتجلا ولم يكن هناك ارتباط أو تفاهم أو تآزر بين مختلف الجهات .

إن الأمير عبد القادر بقى وحده يجاهد فلم تصله أية مساعدة من تركيا أو مصر .

إن عبقريته ظهرت فى المعارك التى انتصر فيها ولكن لم يدعمه أحد من القواد أو الفنيين أو الأوروبيين .

إن متاعب العدو ومشاكله بقيت مكتومة عن علم الأمير وقواده .

إن المكاتب العربية التى أنشأتها فرنسا كانت على علم تام بمشاكل الأمير ومتاعبه ، وكانت تزيدها وتحركها وتشعل نيرانها إذا همدت .

إن السلم الذى حصلت عليه فرنسا كان هدنة لكى تتمكن من توجيه ضرباتها من جهات أخرى ثم تعود إلى الجهة التى سالمتها لتقضى عليها .

فى وسط هذه الحروب تبدو حكمة الضابط اليابانى أنه أخذ العقلية الأوروبية لأجل الخلاص لأجل إنقاذ الوطن لكى ينتصر على الأعداء .

أحمد رمزى

مطبعة الرسالة :

تقـــدم كتاب

أحمد عرابى

الزعيم المفترى عليه

للأستاذ محمود الخفيف

على ثلوج (حزرين)

للأستاذ على الطنطاوى

— ٥ —

أقامت ليلى فى دار أسعد شهرين محمولة على الأكف ، مفداة بالأرواح ، قد هيئت لها كل أسباب الرفاهية ، وأحيطت بكل مظاهر الترف ، وسيق لإسعادها كل ما وصلت إليه الحضارة ، وأبدعه العقل ، فلا ترى إلا جميلا ، ولا تشم إلا طيباً ، ولا تسمع إلا ساراً ، ولا تأكل إلا لذيذاً ، ولكنها لم تكن سعيدة ... ولم تر حسن ما هى فيه ، لأنها افتقدت النور الذى ترى به جمال الدنيا حين افتقدت الحبيب

ولم يكن لها ما تشكو منه ، فقد أعطاها أسعد كل شىء ، ولم يطلب منها شيئاً . وكان يسرّها بحضوره ، ويهزّها كرمه ، ويعجبها أدبه ، ولكنها لا تحسّ الفراغ فى نفسها لغيبته ، ولا تجد الخفقان فى قلبها لحضوره ، ولا يحملها حديثه على أجنحة الخيال ، إلى العالم السحور الذى كانت تحملها إليه أحاديث هانى ، على جفوتها وفراغها ...

ولقد أحب أن يتم عليها سعادتها بالبحث عن هانى ، فبعث الرسل ينفضون الأرض ، ويغلّون المدن ، ويبحثون فى الهضاب والشعاب ، فلم يقعوا له على أثر ، وطفقت ليلى تفكر فيه حتى خدر فكرها وكلّ ، وانطوى على هذه (الفكرة) الواحدة ، فلا يعنى بغيرها ، ولا يفرغ لسواها ، وأدركت أن هذا العالم الذى بدا لها أول مرة بهياً فاتناً : عالم الذهب والحرير والزهر والعطر ، جميل ، ولكنه كجمال اللعبة الفنية ، لها القلة الساحرة ، والقامة الفتانة ، ولكنها باردة ليس فيها روح ، وهل روح الحياة إلا الحب ؟

جز ياجبل البقاع ، واسمع أحلى الأغانى ، وشمّ أطيب العطور ، وافتقد الحبيب لا تحس لذلك لذة ، ولا تجد طيباً ...

... ولكن الأيام تبدل كل شىء ، وقد بدل ليلى كرّ الأيام ، فلم يجف الجرح فى قلبها ، ولكن مسّ الحنان قد راضه على السكون ، ولم يذهب الحب من نفسها ، ولكن عرفان الجميل ، قد ألقى عليه غطاء فأخفاه ، ولم تنس حياة القصر وساعات الصخرة ، ولكن غياب هانى قد حملها على الأنس بهذه الحياة الناعمة الرفيهة التى نشأت عليها وتعودتها ، هذه هى معيشتها لامعيشة هانى ، الذى ألقته المقادير أمامها ، وقد ولد فى غير بيئتها ، وجبل من غير طينتها

ويا ليتها لم تكن عرفت هانى ، ويا ليت أسعد كان السابق إليها ، إذن لوجدت السعادة كاملة ، لا ينقصها شىء ، ويا ليت الحب ، هذا الطفل الأعمى ، لم يكن رماها بهانى ، بالغلام القذر الذى جىء به من أزقة بيروت ، فتعلقت به ، كما يتعلق المرء بكأس الخمر ، تهرى أمعاءه ، وتشتاقها نفسه ، بل هو القدر ، القدر الذى جعل جسدها منعماً فى هذه الجنة ، وقلبها معذباً فى ذلك (الاصطبل) ، وكتب عليها أن تعيش مع أسعد ، ويكون حبها لهانى

ولم يكن أسعد وأخته ، يدعانها لحظة كيلا ينبثق جرح قلبها ، وكانا يطرفانها أبداً بأجمل الطرف ، وأرق الأحاديث ، ويجددان لها كل ساعة مسرة ، ولكنها كانت كلما خلت بنفسها ، أو لمحت الصخرة من بعيد ، ذكرت ليالى الحب عند الصخرة ، وعادت تفكر فى هانى : أى أرض تحمله ، وأى سماء تظلله ، وهل هو حى لايزال ، أم قد طواه الثرى ؟ ويا ليتها تستيقن موته ، فتستريح إلى اليأس ، وتتعزى بالعجز ...

وكان أسعد يوماً من أيام النقاهة إلى جانبها ، وقد أضجعها على أريكة فى الحديقة ، تضحى بشمس الصباح تظلها بواسق الصنوبر ، وتحف بها فواتن الأزهار ، وقعد على كرسى صغير ، ينظر إليها كما ينظر الوثنى إلى صنمه ، يطل قلبه من عينيه حباً ، ويقف لسانه هيبة ، وتنقبض يده إكباراً فلا يمسّه إن مسّه إلا بأطراف الأنامل ، وكان يتأمل شفتيها ، حتى إذا تحركت طالبته شيئاً جاءها به قبل أن يتم اللفظ ، ويلحظ عينيها حتى إذا مالت إلى شىء حمله إليها قبل أن يرتد الطرف ، وطفت عليها عاطفة الشكر وعرفان الجميل ، فأمرت أصابعها على شعره فأحسّ رجفة الكهرباء العلوية ، التى لا تمشى فى سلك ولكن تسير فى الأعصاب ، ولا تضىء البيوت ولكن تثير القلوب ، ولا تحرك

الآلات ولكن تحرك الكون ، الكهرباء التي اسمها الحبّ ، وتجرأ فقال الكلمة التي كان يرددها في نفسه على عدد الدقائق والثواني ولا يجرؤ أن يقولها ، قال لها :

— هل تقبلين بي يا ليلَ زوجاً ؟

وسكت يرقب الكلمة التي تعرّفه مصيره في هذه الدنيا ، إما إلى جنة الحب ، أو إلى نار الهجران ، وسكتت ليلى لحظة ولكنها لم تذكر ماضياً ولم تفكر في مقبل ، وإنما نظرت إلى الحاضر وحده ، واستجابت لندائه ، كما تفعل كل امرأة في الدنيا وقالت :

— نعم .

وتم الزواج !

* * *

ومرت سنوات طويلة ، ناعمة هادئة ، كأنها مياه البحر في خليج جونيه ، واستقر الجرح في قلب ليلى ، حتى ظنته قد قد التأم ، ومنعته عناية أسعد ومحبته أن ينفجر أو يتسع ، واتصلت المودة بينها وبين أسعد ، والمودة إن اتصلت بين الرجل والمرأة لا تلبث أن تصير حباً ، وكاد يجيء الحب ، لولا أن عصف البحر في الخليج فجأة ، وماج واضطرب ، حين دخل الخادم يعلن قدوم هاني .

انفجر الجرح ، وعاش الماضي ، ونظرت ليلى إلى حاضرها الذي كانت تأنس به وتطمئن إليه ، فوجدته يتهدم ويكاد يضمحل حين داهمه هذا الماضي بسيله الدفاع ، فتمسكت بأسعد الذي هو رمز هذا الحاضر ، كما يتمسك الغريق ببقايا الزورق وهتفت به أن يمنعه من الدخول . فأبى أسعد ، وحسب لغروره وجهله بطباع المرأة ، أن الحبّ قد مات ودفن ، لا يدري أنه دفن في القلب ، ودفين القلب يحيا إذا ناداه الماضي ، وأذن له بالدخول ، وقام لاستقباله ، وبقيت ليلى جالسة ، ساكنة الجوارح وقلبها في زلزال ، معرضة عنه وكل شعرة في جسمها تنظر إليه وتحس به ، قد شحب لونها ، واصفر وجهها حتى لم يبق فيه قطرة واحدة من الدم ، ورفعت إليه عينيها أخيراً ، فوجدته قد عاد بأبهى حلة ، وأكمل زينة ، تبدو عليه مظاهر الغنى ، وعلائم الثروة ، وتخاطبت العينان في لحظة ، فألقتا ألف سؤال وسمعتا ألف جواب ، وروتا قصصاً وساقتا أخباراً ، ولم يدر حديثهما أحد . ثم أغضت ، وأخذها مثل الدوار .

وسمعت وهي غيبتها أطرافاً من الحديث ، فعلمت أن هاني قد عاد من أمريكا غنياً ، وأنه اشترى قصر أبيها ، وصار مالكه .

وكان لكل كلمة يقولها ، وحرف ينطق به ، معنى في نفسها ، لا يدركه الزوج ولا ينتبه له ، لقد كان يفهم معاني الكلمات في المعجم وهي تفهم معانيها في القلب المحب ، وفي الماضي المبعوث ، وتحس أن الحديث بينه وبينها ؛ وإن كان الذي يرد عليه زوجها ، ثم غشي عليها فلم تعد تشعر بشيء .

* * *

وذهب هاني إلى القصر ، وقعد على كرسي سيدي الشيخ رحمه الله وراح ينظر حوله : لقد خرج من القصر أجيراً ذليلا ، وعاد إليه سيداً مالكا ، وصار علام تحت يده ، يجزّعه إن شاء المرّ من كأس الانتقام ويجزيه بالسيئة قدمها له عشراً ، وحالفه الحظ ، وسعى إليه المال ، ولكن ما فائدة هذا كله ، وفي نفسه هذا الفراغ الذي لا يملؤه مال ولا قصر ، ولا تسدّه لذة الانتقام ، لقد ذهبت نشوة الظفر وعلم الآن أنه ان يسعده شيء مما على ظهر الأرض إلا هذه المرأة التي اسمها ليلى . وقد صارت ليلى لغيره ... فلن يسعده شيء !

وعرض ماضيه كله ، فتمنى أن تعود أيام الفاقة والعوز ، وأن يعود خادماً ذليلا يحيا بقربها ، لقد كان في الحنان الذي يفيض من عينيها ، والفتون الذي يبدو في صوتها وحديثها ، والعطر الذي يشمه من جسدها الغالي ، ما يغنيه عن المال والجاه فهل يغنيه الجاه والمال اليوم عن حنانها وفتونها ؟ لقد كان يفرّ إلى الصخرة الجامدة ، فينسى القصر وعذابه ، فهل ينسيه القصر ونعيمه اليوم تلك العشايا الحبيبة عند الصخرة ؟

لقد ضرب في الأرض ، وخاض البحار ، وذهب إلى أميركا ليعود بالمال الذي يشتري به قلبها الذي صبا إلى المال ، فماذا ينفعه الآن إن اشترى القصر وخسر القلب ؟ أهذا كدّ ونصب ؟ وهل الجوع والتعب ، وسامر طيف الحب في ليالي الغربة ، وتجرع مرارة الهجر في دار النوى ؟

إن كانت هذه هي الغاية ، فيا ضيعة المسعى ، ويا ضلّة المطاف

(الخاتمة في العدد القادم)

علي الطنطاوي

٣ ـ حجة تأريخيـــة

للدكتـــور جواد علي

وبعد سقوط القدس على أيدي البابليين عام ٥٨٦ قبل الميلاد سبى « نبوخذ نصر » العبرانيين وأخذهم معه إلى العراق إلى أرض بابل وتعرف هذه الحادثة في التأريخ العبراني باسم «السبي» وقد استولى « نبوخذ نصر » أربع مرات على القدس ، المرة الأولى في أيام الملك « يهوياقيم » سنة ٦٠٢ قبل الميلاد[١] وكان هذا الملك ملك « يهوذا » وهو ابن « يوشيا » وأخو «يهوآحاز» الذي خلفه في الملك وكان اسمه « الياقيم » فغيره فرعون « نخو » إلى يهوياقيم عند ما أجلسه على الكرسي[٢] وكان تحت الجزية لفرعون أربع سنين[٣] .

ثم سارت عليه جيوش ملك بابل نبوخذ نصر فاستعبده ثلاث سنين « ثم عاد فتمرد عليه فأرسل الرب عليه غزاة الكلدانيين وغزاة الآراميين وغزاة الموآبيين وغزاة بني عمون وأرسلهم على يهوذا ليبيدها حسب كلام الرب الذي تكلم به عن يد عبيده الأنبياء[٤] .

ثم ما لبث أن أخذه بوخذ نصر وقيده بسلاسل من نحاس ليرسله إلى بابل[٥] ثم تولى ابنه « يهوياكين » مكانه وفي أيامه تقدمت جيوش « نبوخذ نصر » للمرة الثالثة ودخلت القدس وأخذ الملك وأمه وعبيده وخصيانه وأكثر اليهود أسرى إلى بابل ومعه ما كان عنده من خزائن وما كان في الهيكل من أموال وقد فسرت التوراة ذلك لأنه عمل الشر وعصى أو أمر ربه وسار على خطة أبيه[٦] وعين نبوخذ نصر « متنيا » عم « يهوياكين » بدلا منه وسماه « صدقيا »[١] .

وفي أيام هذا الملك كذلك تقدم نبوخذ نصر هو وجيشه وحاصروا القدس ثم قبضوا على الملك وأخذوه أسيراً إلى بابل وقيدوه بسلسلتين[٢] ثم أحرقت القدس والهيكل في السنة الثامنة عشر من حكم « نبوخذ نصر » وأخذ ما كان قد تبقى أسرى إلى بابل .

وعين البابليون « جدليا بن اخيقام بن شافان » على من تبقى من اليهود وقد جاء هذا الملك نداءاً إلى البقية الباقية من اليهود وناشدهم فيه بوجوب الإخلاص لملك الكلدانيين وامتثال أمره ، ولما قتل خافه كل من في المملكة فهرب كل اليهود إلى مصر حيث فضلوا البقاء هناك[٣] .

ولما قضى الفرس على مملكة البابليين دخل اليهود في حكمهم وأصبحوا لهم أتباعاً . وغدت فلسطين جزءاً من مملكتهم والواقع وكما تحدثنا التوراة أن العبرانيين كانوا ضد أي نوع من أنواع الحكم وأنهم لم يرتضوا أن يكونوا لهم مملكة لأن صفة البداوة كانت هي الصفة الغالبة عليهم ، وأنهم حتى في أيام مملكة شاؤول وداود وسليمان وهي المملكة التي يتغنى بها الصهيونيون لم يكونوا ينظرون إليها نظرة ارتياح وأن عهدهم لم يكن يخلو من اضطراب وثورات ولذلك كانوا عرضة للخضوع إلى الحكم الأجنبي .

ولذلك لم يكن ملوك إسرائيل أو يهوذا في الحقيقة سوى رؤساء قبائل أو أمراء مقاطعتين صغيرتين تابعتين لحكم الأجانب فحكمهم المصريون وأصبح ملوك المملكتين الصغيرتين «مملكة إسرائيل » و « مملكة يهوذا » يعينون تعييناً حتى أنهم كانوا يتركون أسماءهم ويتناولون أسماءاً جديدة يتذوقها عليهم فراعنة مصر . ثم ملوك الكلدانيين فيما بعد وبعد انقراض دولتهم بسقوط « القدس » أصبحوا تحت حكم الدول الأجنبية تماماً . ولم يجد المفكرون من ذلك غضاضة كما نقرأ في الكتب العبرانية .

ومما يجدر ذكره هو أن العبرانيين لم يكونوا في يوم من الأيام راضين عن ملوكهم وإذا قرأنا التوراة نرى أن الملوك كانوا عرضة لنقمة رؤساء الشعب والكتاب البارزين وأن الأنبياء كانوا

(١) قاموس الكتاب المقدس حـ ٢ ص ٤١٢ .
(٢) الملوك الثاني إصحاح ٢٣ آية ٣٣ وما بعد .
(٣) الملوك الثاني إصحاح ٢٣ آية ٣٥ .
(٤) الملوك الثاني إصحاح ٢٤ آية ٣ وما بعد وأيام الثاني إصحاح ٣٦ آية ٨ وأرمس ٢٢ ، ٢٦ ، ٣٦ .
(٥) أيام الثاني سفر ٣٦ آية ٦ وما سفر أول آية ٢ .
(٦) الملوك الثاني سفر ٢٤ آية ٧ وما بعد . اد سفر ٢٢ آية ٢٤ وما بعـــد .

(١) مل سفر ٢٥ آية ٧ .
(٢) مل سفر ٢٥ آية ٧ .
(٣) الملوك الثاني سفر ٢٥ آية ٢٤ وما بعد .

يتنبأون دائماً بحلول غضب الله على هؤلاء الملوك ، ولم يظهروا كراهية للملوك الفاتحين وهذا ما يفند رأى الصهيونية فى الدولة اليهودية القديمة .

ويلاحظ أيضاً أن العبرانيين القدامى قد استعانوا بالعرب وبغيرهم فى الدفاع عن أرض فلسطين فلما حاصر الملك «سنحريب» مدينة القدس فى أيام « حزقيا » «Hezekiah» لم يتمكن اليهود من حماية أنفسهم تجاه الأشوريين فاستعانوا بالعرب وطلبوا منهم المساعدة لخلاص القدس وقد سجل سنحريب فى أخبار حملته لسنة ٧٠١ قبل الميلاد . وكان اسم الأمير العربى الذى لبى نداء الوطن فدافع عن اليهود وقاوم الأشوريين مقاومة عنيفة أزعجت الملك « سنحريب » هو الملك العربى « مصترى » وملك آخر عربى كذلك هو ملك مقاطعة «ملوخا» وبفضل هذه المساعدة الثمينة تمكن العبرانيين من الوقوف أمام الأشوريين .

وقد دافع العرب مراراً كثيرة عن أرض فلسطين فى أيام الأشوريين والبابليين واليونان والرومان وقد تكبدوا من جراء ذلك خسائر فادحة ومما يذكر هو أن اليهود كانوا بالنظر إلى عدم استطاعتهم الوقوف أمام الأجانب قد اضطروا إلى الاتفاق مع الأمارات العربية لاستئجار جيوش عربية لتتولى الدفاع عما تبقى من الأراضى فى أيدى العبرانيين . ولم يبق بالطبع بعد السبى فى فلسطين جاليات كبيرة من اليهود ، بل أصبح اليهود أقلية خاضعة لحكم الأكثرية تسكن فى أماكن معينة تحت حماية الفرس فاليونان فالرومان ثم البيزنطيين .

ولما احتل البابليون فى عهد ملكهم نبوخذ نصر القدس كان العرب فى ذلك العهد يمتلكون أكثر أراضى فلسطين مثل أرض موآب وأدوم وفلسطين الجنوبية وكانت عزيمة العبرانيين خائرة والنبى « أرميا » يحذر الناس من المقاومة ويطلب منهم الاستسلام[1] وكانت نتيجة ذلك تخريب بيت القدس والهيكل وأخذ اليهود أسرى إلى بابل ، ومنذ ذلك العهد فقد اليهود عملياً كل كيان لهم فى فلسطين .

أما العرب فقد دافعوا دفاعاً عنيداً أزعج نبوخذ نصر وجعله يقرر الزحف على البادية والحجاز بإشارة من أرميا وكانت المعارك شديدة بين الطرفين .

وقد تولى العرب منذ هذا العهد حتى الآن أمر الدفاع عن أرض فلسطين فكافحوا الحكم الرومانى وحاربوا البيزنطيين ولما قامت جموع العرب فى الحجاز تحت راية الإسلام تحرر البلاد العربية اشتركت القبائل العربية وأكثرها من كلب ولخم وجذام ومن استعرب من سكان فلسطين مع المسلمين فى مقاتلة البيزنطيين إخوانهم فى الدين ، لأنهم كانوا يشعرون بشعور قوى وبشعور الرابطة التى كانت تربطهم بشبه جزيرة العرب وتقدمت الجيوش الإسلامية فى أراضى سورية وتمكنت من طرد الروم[1] . وفى ذلك دليل كاف فى دحض حجج الصهيونيين.

وقد كان المسلمون والنصارى سكنة فلسطين يحاربون سوية جيوش الصليبيين الذين حاولوا باسم الدين احتلال فلسطين ولم يشترك أى يهودى فى مقاومة هؤلاء الغزاة وقد اشترك العرب مسلمون ونصارى فى مكافحة العثمانيين وتحرير فلسطين من حكمهم وفى النهضة العربية فأى حجة تاريخية يتذرع بها الصهيونيون إذاً فى حقهم التاريخى القديم فى فلسطين وهم لم يقاتلوا فى سبيل الأرض المقدسة ولم يحاولوا الوقوف أمام الأشوريين والبابليين والرومان عند ما كانوا يدخلون القدس ويخربون الهيكل وبيت داود .

وقد ادعى الصهيونيون بأن العبرانيين كانوا يحنون دائماً إلى العودة إلى « أرض إسرائيل » وأنهم ما فتئوا يتذكرون أرض الأجداد والآباء وأنهم يريدون إحياء ثقافتهم فى تلك الأرض الموعودة ولكن التوراة والتواريخ تكذب أقوالهم هذه أيضاً ، فإن العبرانيين الذين كان البابليون قد أخذوهم أسرى إلى بابل ثم سمح الفرس لهم بالعودة إلى أرض فلسطين بعد انقراض حكومة بابل ، فى أيام « كورش » فضلوا الإقامة فى أرض العراق على الذهاب إلى «أرض إسرائيل» ولم يلبّ نداء زعماء اليهود وأنبيائهم غير القليل ، لأنهم وجدوا أنفسهم فى أرض طيبة وفى موطن ملائم وقد بقوا فى العراق حتى الآن[2] وقد تولى بعضهم مناصب

(١) أرميا سفر ٢٧ آية ٣ فما بعد و ٣٥ آية ٩ فما بعد و ٣٢ آية ١ فما بعد .

(١) راجع كتب الفتوحات الإسلامية والجزء الثانى من كتاب « دراسات إسلامية » للمستشرق « بيكر » فى بحث فلسطين .

(٢) Nisi Dominus P. 15.

عالية فى الحكومة ، كما أن اليهود الذين هاجروا إلى مصر فراراً من حكم نبوخذ نصر فضلوا البقاء فى مصر على الذهاب إلى فلسطين وفى ذلك دليل على عدم صحة أقوال الصهاينة فى وجود الحس السياسى والوطن القومى عند العبرانيين .

وأما النداء الذى وجهه الملك « كورش » إلى رؤساء إسرائيل والنداء الذى وجهه الأنبياء فإنه لم يكن ذا طابع سياسى بل كان يحمل الطابع الدينى المعهود فاليهود الذين ذهبوا إلى القدس لبناء « الهيكل » والذين ساعدهم « كورش » بتقديم كل المساعدات اللازمة والذى أمر بإعادة ما كان قد أخذه « نبوخذ نصر » من ذهب وفضة من خزائن الهيكل لم يحاولوا تكوين مملكة سياسية بل ذهبوا لبناء « بيت الرب إله إسرائيل »[1] ولذلك كانت الحكومة التى كونها العبرانيون فى القدس حكومة دينية تحت حكم الفرس ومما يذكر أن « عزرا » الذى فوضه الملك « ارتحشتا » أمر قيادة رجال السبى وإعادة بناء الهيكل اتخذ كل وسائل القوة لإجبار اليهود على العمل بشرائع الرب وعلى العبادة والتوبة[2] وقد كان من نتيجة ذلك اعتناق جماعة من الفلسطينيين ديانة العبرانيين .

ومع ذلك فإن الأرض التى نزل بها اليهود بعد السبى كانت صغيرة جداً أصغر من أرض « مملكة يهوذا » الصغيرة ذاتها مركزها القدس وتمتد فى الشمال إلى حدود « الرملة » وإلى « حبرون » فى الجنوب . وإلى حدود الأردن فى الشرق والسهول فى الغرب[3] .

وكانت منطقة « السامرة » التى لا تبعد إلا قليلا عن مدينة « نابلس » مأهولة بسكان من العراق كان الأشوريون قد نقلوهم إلى هذا المكان ومن السامريين الذين لم يعترفوا بزعامة رجال الكهنوت فى القدس واختلفوا عنهم . ثم أصبحوا من أشد الناس خصومة لهم ، فقاوموهم وحاربوهم مع أنهم من أصل عبرانى وهذا ما يدل على أن اليهود لم يكونوا على رأى واحد حتى فى إحياء الهيكل وإعادة الدولة اليهودية بشكل جديد سماه « السير لويد جورج » والتقرير الذى وضعته اللجنة الملكية التى أرسلت فى عام ١٩٣٦ للتحقيق فى حوادث فلسطين « بأول وطن قومى للهود » « A firit Jewish national Home »[1] .

ومما يذكر أن اليهود الذين عادوا من السبى ما كادوا يشرعون ببناء السور والهيكل وتحصين القدس حتى ثار سكان فلسطين عليهم وهم الأكثرية فأعلنوا الحرب واشترك فى ذلك « سنبلط وطوبيا والعرب والعمونيون والأشدوديون »[2] وجشم العربى وبقية شعوب فلسطين[3] .

بنى السور وتحصن العبرانيون فى القدس وتكون مجتمع يهودى صغير فى هذه البقعة بجهود « عزرا » و« نحميا » وقد أمر « هذان الزعيمان بأن تكون القدس مستعمرة يهودية بكل معنى الكلمة تتكلم اللغة العبرية وتحترم « الشباث » « السبت » وتحتفظ بقوانين العنصرية فأمر العبرانيين الذين تزوجوا بزوجات أجنبيات من الوطنيات بطلاقهن على الطريقة التى اتبعت فيما بعد وبعد ألفى سنة فى قوانين « نورنبرك »[4] .

لم يستطع هذا « الوطن القومى » الذى خلقه « عزرا » و « نحميا » ولم تتمكن القوانين الصارمة التى فرضاها على العبرانيين من خلق ذلك الوطن فظل صوت اليهود خافتاً لم يرتفع فى فلسطين على الرغم من المساعدات القيمة التى قدمها لهم « ملوك الفرس » الذين تجاهلوا رغبات الأكثرية من الوطنيين ولم يبذل العبرانيون أنفسهم لخلق ذلك الوطن لأنهم لم يفكروا تفكيراً سياسياً بل كانت كل جهودهم متوجهة نحو الاحتفاظ بديانة إله إسرائيل ، ماخلا فترات قام بها بعض الزعماء بالدعاية إلى العنصرية لم تلاق غير رواج مؤقت .

جواد علي

(١) راجع أسفار عزرا .
(٢) عزرا إصحاح ٧ آية ١٢ فما بعد .
(٣) Nisi Dominus. P, 15

(١) Mr Stod George, Quoted in the Royal Commission Repot «1939» P. 24. Nisi Dommiminur, P, 16.
(٢) نحميا إصحاح ٤ آية ٧ فما بعد .
(٣) نحميا إصحاح ٦ آية ١ فما بعد .
(٤) Nisi Dominus. P. 14'

ظهر حديثا كتاب
أحمـــد عرابى

مكتبة الأطفال العربية

بعض الاعتبارات الشخصية والملاحظات التوجيهية

للأستاذ كامل كيلاني

زعموا أن ثلاثة أمراء إخوة أشقاء ، خرجوا يتنافسون فى مهر بنت عمهم السلطان ، بعد أن تواعدوا على الاجتماع آخر العام فى مكان بعينه ليروا : أيهم ظفر بأنفس هدية للأميرة . فلما التقوا رأوا أحدهم قد ظفر بمنظار سحرى يرى فيه الناظر كل مايدور بخلده ، ولو كان فى أقاصى الدنيا . وظفر ثانيهم ببساط سحرى يحمل راكبه محلقاً به فى كل جو من الأجواء فيبلغه غايته فى لحظات يسيرة . وظفر ثالثهم بتفاحة شافية تبرىء من السم وتعيد الحياة إلى من أشرف على التلف . ونظروا فى المنظار فإذا الأميرة على فراش الموت تحتضر . فأسرعوا إلى البساط ، فإذا بهم عندها فى الحال . وأدنوا التفاحة منها ، فشفيت على الفور . وحاولوا أن يعرفوا : أيهم صاحب الفضل فى شفائها فلم يهتدوا إليه . فلولا المنظار لما عرفوا مرضها الخطير ، ولولا البساط لهلكت قبل أن يصلوا إليها ، ولولا التفاحة الشافية لما كان لوصولهم فائدة . فإذا نقصت واحدة من هدايا الأسطورة ضاع كل أمل فى شفاء الأميرة.

ولعل فى هذه القصة مثلا دقيقاً يوضح ما يجب على من يتصدى للكتابة للأطفال أن يهدف إليه ويجعله نصب عينيه وحفل أذنيه

* * *

إن تحبيب الكتاب إلى نفس الطفل هو أول الوسائل لتمكينه من القراءة . ومتى ظفر بهذه الغاية ظفر بالمنظار السحرى الذى يرى صاحبه كل ما يريد أن يراه . أما الأسلوب القصصى الساحر فهو بساط الريح الذى يتنقل بالقارىء إلى أبعد الآفاق الفكرية فى لحظات يسيرة ، ويطير به على أجنحة الخيال البديع محلقاً به فى سماء الحقائق ، دون أن يلحق به كلالا ولا جهداً . أما التفاحة الشافية فتتمثل فيما تتركه القراءة النافعة من آثار نفسية دائمة ، تشفى سموم الجهالة وتبرىء من النزعات العارمة التى تعجل بصاحبها إلى الهلاك وتقذف به إلى الهاوية . ولنقف عند أول هذه الأهداف الجليلة لحظة قصيرة ، فما تتسع هذه الوجازة الخاطفة لغيرها لنقف عند الخطوة الأولى ، وهى تحبيب القراءة إلى الطفل ، وتمكين الفصحى من نفسه ، وحمايته مما كان يغمرنا من البيان المشوه المضطرب ، وتجنيبه ذلك الشر المستطير من سيل العامية الجارف الذى كان يغرقنا فى مستهل نشأتنا الثقافية ، ولا يزال يغمر الكثيرين من ناشئة اليوم ورجال الغد ، فيقضى على مواهبهم البيانية — أو يكاد — فى زمن حداثتهم . ولنعد لهم بياناً عربياً خالصاً يطبع الطفل على الفصحى منذ طفولته الباكرة ، حتى إذا كبرت سنه صارت له الفصحى — كما كانت لغيره من أسلافه العرب فى عصور القوة الأولى — سليقة وطبعاً ، وأصبح البيان العربى متأصلا فى نفسه عادة وملكة . ويرىء من المجمة المتفشية بين شباب العصر وفتياته .

* * *

أما السبيل إلى هذا الحلم الجميل ، فتحقيقها ميسور غير مستحيل .

إننا إذا راقبنا كلام الطفل وهو فى مستهل طفولته ، رأيناه يلجأ — كما قلت فى بعض المناسبات منذ عشرين عاماً — إلى تكرار الجمل إذا قص علينا خبراً ، كأنما يتثبت من معانيها فى ألفاظها المكررة . فلماذا لا نكتب له وهو فى هذه السن محاكين أسلوبه الطبيعى فى تكرار الجمل والألفاظ لتثبت المعانى فى ذهنه تثبيتاً ؟ ولماذا لا نكرر له الجمل برشاقة ليسهل عليه قراءتها ذلك أجدر بنا وأليق فإن لكل مقام مقالا .

ومن الحقائق المعروفة أن الطفل — فى هذه المرحلة — ملول يتهيب الكتاب ، فلننزع من نفسه هذا الملل ، ولنحبب إليه الكتاب بكل وسيلة ، ولنبسط له الأسلوب تبسيطاً مكثرين من الصور الجذابة الشائقة التى تسترعى انتباهه ، لنشعره أن الكتاب تحفة تهدى إليه إهداء ، وليس واجباً يكلفه تكليفاً . فإن الطفل — إذا ساء ظنه بالكتاب — صعب اجتذابه إليه بعد هذا .

وقد وفق أكثر من تصدوا لتأليف كتب الأطفال توفيقاً عجيباً فى تبغيض القراءة إلى نفوسهم وتنفيرهم من المطالعة ، فأصبحوا يمقتون الكتاب أشد المقت ، ويهربون من قراءته ، لأن المؤلفين لم يراعوا سن الطفل وميوله ورغباته . ولم ينزلوا أو هم

— على الحقيقة — عجزوا عن النزول إلى مستواه ، ومخاطبته باللغة التي يفهمها وترتاح إليها نفسه . ومن الإنصاف أن نقرر — بصراحة — أنهم لم يضعوا كتبهم على نسق خاص أو منهج معين ، وأنهم في تأليفهم لم يتشبعوا بفكرة فنية تنتظم الكتاب وتؤلف بين أجزائه . لأنهم يقنعون بتصيد موضوعات الكتاب — كيفما اتفق لهم أن يتصيدوها — فيخرج الكتاب خليطاً مضطرباً لا تؤلف بين أجزائه فكرة بعينها ولا يتناسب أسلوبه مع مدارك الأطفال .

***

إن الطفل ميال بطبعه — إلى الحكايات والقصص ، وهو — بغريزته — مفتون برؤية الصور الجذابة فلنختر له منها ما يناسب سنه ، ويتفق وميوله ورغباته وتفكيره . أما الفكرة التي انتظمت مكتبة الأطفال فهي « التكرار » يكثر في أولها ثم يقل شيئاً فشيئاً — كلما تقدم الطفل في القراءة حتى يصل إلى قراءة الأسلوب الموجز الذي لا تكرار فيه بلا مشقة ولا إعنات .

وقد تدرجت بالطفل في هذه المكتبة حتى يكون آخر جزء من كل مجموعة ممهداً لقراءة أول جزء من أجزاء المجموعة الأخرى. فإذا أتم هذه المكتبة اسلمته إلى مكتبة الشباب ، وكانت له جسراً يسهل العبور إلى ما تحويه من كتب الأدب ودواوين العرب في سهولة ويسر .

وإنما عمدت في الأجزاء الأولى من مكتبة الأطفال إلى التكرار عمداً بعد أن أقنعتني التجارب العملية والاختبارات الشخصية أنه أصلح أسلوب يلائم الطفل الناشيء ويشجعه على القراءة . ولا غرو في ذلك فإن الطفل الناشيء لا يقرأ الكلمة إلا بجهد كبير . ولا يتم السطر إلا بشق النفس . فلنقتصد جهدنا في استعمال الألفاظ الجديدة . ولنؤلف من الألفاظ القليلة التي يقرؤها الكبير في بضعة أسطر — عدة صفحات كاملة لندخل في روعه أن القراءة ليست صعبة كما يتوهم ، وليست شاقة مضنية ، كما ألفها في الكتب الأخرى ، بل هي سهلة ميسورة ، وهي — إلى سهولها ويسرها — ممتعة شائقة ، تملأ نفسه بهجة وانشراحاً ، وتمده بشعور الطفل بثقة في نفسه إذ يرى أنه يقرأ صفحة كاملة بجهد يسير ، فهو لن يتم قراءة السطر الأول حتى يسهل عليه قراءة السطر الثاني والثالث والرابع وهكذا ، لأن الألفاظ لا تكاد تتغير في الجمل إلا بمقدار يسير .

***

وقد جعلت نصب عيني قصة الرجل الذي كان يحمل الثور صاعداً به درج سلم عال وهابطاً به دركه ، دون أن يبدو عليه شيء من آثار التعب والجهد . فلما سئل في هذا قال: لقد تعودت حمل الثور منذ ولادته كل صباح وما زلت أكبر ويكبر الثور معي ويزداد نمونا كل يوم زيادة قليلة مضطردة ، حتى اكتمل نماؤنا . ولم أشعر أن وزن الثور قد زاد يوماً عما كان في سابقه ولم أحس له ثقلا إلى اليوم .

***

كانت هذه القصة نواة صالحة لمكتبة الأطفال . فبدأتها بتسلية الطفل متدرجاً به تدرجاً بطيئاً لا يكاد يشعر به ولا يحس له أثراً ، مستعيناً على هذا الغرض بالصور الملونة الجذابة والشكل الكامل والألفاظ السهلة . حتى إذا اطمأن الطفل إلى الأسلوب السهل ، وامتلأت نفسه ثقة بقدرته على القراءة ، انتقلت به إلى المرحلة التالية ، فزجت له التسلية بالفائدة ثم لا أزال أنتقل به خطوة بعد خطوة حتى يرى في فنون المعرفة وحدها متعة وتسلية ، لا يعدلها شيء من فنون المتع وضروب التسلية . ولم أقصر في تحبيب الفصحى إليه وتعويده النطق بالصحيح من الألفاظ ، وتدريبه على الأخذ بالصحيح من الآراء ، فإن الخطأ اللفظي كالخطأ المعنوي إذا انطبع أحدهما أو كلاهما في ذهن الطفل منذ القراءة الأولى صعب اقتلاعه ، في قابل أيامه . ولا ممدى لنا عن ترغيبه — بكل ما نملك من الوسائل — في الأسلوب الرائع والمثل الصالح جميعاً . فلا نتسمح قط في عبارة واحدة تقلل من شأن لغته ، أو تصغر من جلال القيم الأخلاقية .

***

إن تحبيب الكتاب وتخير الأسلوب الصالح وتثبيت الفضائل في نفس الطفل ، هي الأهداف الثلاثة التي ترمي إليها مكتبة الأطفال ولابد من اجتماعها لبلوغ الغاية المرجوة ، كما اجتمعت هدايا الأمراء الثلاثة لشفاء الأميرة . فإذا نقص واحد منها تهدم البنيان كله ، وذهبت جهودنا على غير طائل . وهذه هي الحوافز

شرف . . . !

مشى العمدة فى جلبابه النظيف المهندم وعلى رأسه طربوشه الطويل الأقتم ، وفى يده عصاه الغليظة المحلاة بالذهب ، ومن خلفه بعض وجوه القرية وبعض خفرائها ، وإنه ليحرص أبداً أن يسير ومن ورائه عدد من الناس ليوقع الرهبة فى نفوس من يمر بهم من أهل قريته ، وما يلمح أحد من أهل القرية هذه « الزفة » إلا نهض محيياً بتكاف أكثر مايستطيع من التأدب والخشوع ، فإن كان من ذوى المكانة جرؤ على أن يضيف إلى عبارات تحيته : « تفضل يا حضرة العمدة ... شرفنا يا سعادة البك » وقنع من حضرة العمدة رداً على تحيته وعلى دعوته بإشارة خفيفة من يده علامة على الرضاء لا تكاد ترى ، أو بتمتمة خافتة على شفتيه لا تكاد تسمع ؛ وإن كان من عامة الناس فما يستطيع إلا أن ينهض خاشعاً إذا أبصر العمدة من بعد ، ثم يظل فى خشوعه لا يلتفت يمنة ولا يسرة ولا يرفع رأسه حتى يمر به العمدة فيرفع يده إلى رأسه فى ضراعة ، ويرد فى اهتمام تلحظه فى نغمته تحية الإسلام التى قد يلقيها إليه أحد من فى ساقة هذا الركب ، ثم يجلس بعد أن يمر به الركب كله ، وفى خياله شارب العمدة وعبوس وجهه وطربوشه الأقتم الطويل وعصاه الذهبية الغليظة ، وحسبه جرأة أنه استطاع أن ينظر إلى ذلك الشارب المهيب ، وإن كان ذلك بعد أن يمر به العمدة أو يكاد فيلمح طرفى شاربيه وهو ينظر إليه من وراء ظهره ...

لم يبق على أذان المغرب إلا ساعة أو بعضها ، ويرى الناس وكأنهم سكارى مما فعل بأبدانهم وأرواحهم الحر والصيام وامتداد النهار وشدة الغلاء ، وطول انقطاع ماء الرى حتى هلكت الذرة الوليدة أو كادت ، وتفتحت بعض لوزات القطن المحترق قبل أوانها ووقفت سوقه فلا تنمو

ووقف العمدة وركبه عند أول السكة الزراعية فى مفرق

التى دفعتنى إلى تأليفها .

وقد سألتنى بعض المجلات كيف أؤلف مكتبة الأطفال ، وكيف أتدرج فيها من السهل إلى الصعب فقلت لسائلى : إن إحساس الطفولة عندى كامن مذخور ، فأنا أستحضره فى كل لحظة ، ولدى من رسائل الاختبار والتطبيق لكل ما أكتبه فى هذه الناحية أولادى وهم ذوو أسنان مختلفة وقد استطعت بفضلهم على توالى السنين أن أتدرج فى هذه القصص من السنة الأولى الابتدائية إلى السنة الرابعة الثانوية .

وقد كنت أروى القصة للصغير منهم — حين أؤلف لصغار الأطفال — فإذا انتهيت من روايتها سألته أن يقصها علىّ ، ثم دونت ما علق بذهنه منها واسترعى انتباهه من حوادثها . فاثبته وأغفلت منها ما أغفله . ثم سألته أن يقرأها أمامى بعد كتابتها ، لا تبين مدى ما ظفرت به من نجاح أو إخفاق . فإذا سألنى عن معنى كلمة مما يدق عليه فهمه فسرتها له . فإذا صعب عليه التفسير ، استبدلت به كلمة أخرى أسهل وأيسر ، ثم أثبت التفسير الأخير الذى استقر فهمه عليه .

هذا هو المنهج الذى أخذت به نفسى فى تأليف مكتبة الأطفال فإن وفقت فى هذه الخطوة — وأرجو أن أكون — فقد أديت بعض ما يجب أداؤه لهذا الجيل الناشئ الذى نعلق عليه أكبر الآمال .

ولا أكتم أنى طالما عجبت فى مستهل نشأتى كيف تنكبت كتب المطالعة العربية سبيل الكتب الأجنبية التى وفق الكثيرون من مؤلفيها إلى تحبيب نفسهم إلى نفوس الأطفال بقدر ما وفق مؤلفونا إلى تبغيض القراءة العربية إلى نفوس الناشئة .

وطالما شكوت لبعض أترابى من الطلبة ونحن بالسنة الأولى الابتدائية متبرماً بما فى أيدينا من كتب المطالعة العربية مقابلا بينها وبين الكتب الأجنبية الجذابة الفاتنة . وطالما أجابنى صاحبى مستهزئاً ساخراً : « وما بالك لا تؤلف خيراً من هذه الكتب؟ » وطالما أجبته واثقاً : ذلك عهد على أوفى به إن شاء الله متى كبرت سنى ، وبلغت مبلغ الرجال »

ولعلى بما ألفت من أجزاء مكتبة الأطفال — خلال هذه السنين العشرين ، قد وفيت بهذا النذر ، وحققت منه بعض ما أريد .

كامل كيلانى

١٦ - ٢٩

الطرق بين قريته وقريتنا وبعض القرى المجاورة ، وهو مكان به عدد من الدكاكين وكثير من الناس ، وما أن وقع بصره على رجل من أهل قريته حتى ناداه فى عنف ، فخف المسكين إليه وهو يتمتم فى صوت سمعه بعض الناس : « يا نهار اسود ... ياخرابى » ويحاول أن يبلع ما أبقى الصيام والقيظ فى فمه من ريق فلا يجد شيئاً ، ووقف المسكين بين يدى حضرة العمدة ، فهل رأيت العصفور الهزيل بين يدى صقر جارح ؟ وراح العمدة ينهره فى صوت كالرعد أكبر ظنى أن المسكين لم يسمعه من فرط رعبه .. يا كيت وكيت وياين كيت وكيت ... من هاتيك الألفاظ التى تجرى بها ألسنة العمد وأصحاب السلطان فى القرى ، وأمسك العمدة هذا المسكين بإحدى يديه وصفعه بالأخرى مرتين على وجهه المصفار فى عنف وغلظة ، فما تركه حتى سقط المسكين على الأرض يعفره التراب ، فركله العمدة كما يفعل بكلب حقير !

ولم أدر سبباً لهذا الضرب ، غير أنى أحسست بالدم يصعد حاراً قوياً إلى وجهى ، وطاف برأسى فى مثل لمحة الطرف طائف مما نلوكه نحن المتعلمين من ألفاظ الحرية والديمقراطية والدستور ومجلس الأمن وأضرابها مما نخادع به أنفسنا ، وهممت أن أنقض على هذا الصقر ، وأبعثها حرباً بين الأسرتين والقريتين حتى ولو كان المضروب من أكبر المجرمين ؛ وما كدت أسمع ممن حولى أنه من المساكين المسالين ، حتى انتفضت انتفاضة المحموم ، وخطوت أوقد نار الحرب علّى أطفىء بها نار غضبى !

ونهض المسكين يبكى ويئن ويضع يديه على وجهه مكرراً قوله : « أمرى إلى الله ... أمرى إلى الله » ! وكأنما عز هذا على أحد حاشية العمدة فنهره قائلا : « إخرس يا حمار . . بوس يد العمدة وقل له ضربك شرف ياسعادة البك ، وبذاك يصفح عنك »

وسبقنى إلى حيث يقف العمدة وحاشيته شاب يابس جلبابا أبيض ، ويضع طربوشاً فوق رأسه ، علمت أنه أخو المضروب ، فالتفت إلى ذلك المتكلم الأخير قائلا : « بل اخرس أنت ياساقل » ومرق مروق السهم إلى العمدة ، فوقف يعترض طريقه فى جرأة قائلا : « لما ذا تضرب أخى يا حضرة العمدة ؟ » ... وأخذت العمدة أول الأمر ربكة من هذه الجرأة التى لم ير مثلها قط فى سنوات حكمه الثلاثين ، ولكنه نظر إلى هذا الطربش فى استهزاء كما ينظر المرء إلى مجنون لا يحاسب على قوله أو فعله ؛ ولكن هذا الطربش أخذ يقول فى عبارة فصيحة : « ما هذا الجبروت ؟ إلام الظلم ؟ الناس سواسية كأسنان المشط ... نحن فى عهد الدستور ... قضية الحرية تعرض على مجلس الأمن . . يا ناس كفى ظلماً واستعباداً لخلق الله ... فيم هذا الضرب وهذا الجبروت » ! !

وتقدم المضروب بدوره ، فازداد الناس عجباً إذ سمعوه يتوثب أمام العمدة قائلا : « إيه الجبروت ده ... دا ظلم ... داجبروت ! » ودفعهما أعوان العمدة من طريقه ، ومضى العمدة وهو يلعن الدستور والحرية ، ويسخر فى صوت مسموع من هذه البدع التى أفسدت الناس ، ويكظم غيظه من هذا المعلم الإزامى الثائر الذى غضب لضرب أخيه ، والذى يفسد هو ونظراؤه القرى !

واستمر المعلم الجرىء النبيل يرفع صوته متحدياً معلناً أنه سيرفع إلى النيابة شكواه واستشهد بى وبغيرى ، فقبلت أن أشهد مغتبطاً ، وأنا أقول لنفسى : هؤلاء هم الذين يصلحون القرى لا الذين يفسدونها ، وما يفسدها إلا أمثال هذا المتجبر الطاغية الذى يعيش بجهله وجاهه فى القرن الماضى .. ومضيت إلى دارى قرير النفس - وقد ذهب عنى الغضب — وأنا أقول : لن يكون لمصر دستور بالمعنى الصحيح ، حتى يتعلم أبناؤها ، ولن تقوم الديمقراطية الحق إلا على أساس من العلم !

أما الذين رفضوا أن يؤدوا الشهادة ، فقد انقلبوا إلى دورهم وهم يفكرون فيما سوف يحل بهذا المعلم الإزامى من نكال أقله تفليع زرعه أو حرقه ، وإهلاك ماشيته بالسم ، ومطاردة أهله وذوى قرباه ، إلا أن تعصمهم من عذاب هذا الطاغية رحمة من الله ! !

(الشهداء) الخفيف

اطلب نسختك

من الطبعة الجديدة من كتاب

تاريخ الأدب العربى

١١ ـ تفســـــير الأحلام

للعلامة سجموند فرويد
سلسلة محاضرات ألقاها في فينا
للأستاذ محمد جمال الدين حسن

الرموز في الأحلام :

والقيام برحلة بعيدة يعبر في الأحلام عن الموت . وبالمثل جرت العادة أن تقول المربية للطفل عندما يسأل عن مقر شخص مات من زمن وأحس الطفل بفقده أن هذا الشخص قد «سافر». وهنا أقرر كذلك أنني أعني إن هذا الرمز يرجع مصدره إلى هذا الرد الملتوي على سؤال الطفل . فالشاعر يستخدم نفس الرمز عندما يتحدث عن الآخرة فيقول : « هذا العالم المجهول الذي لا يؤوب منه المسافر أبداً » ؛ وكذلك من المألوف في حياتنا اليومية أن نتحدث عن « الرحلة الأخيرة »(١) كما أن الشخص الذي له إلمام بالطقوس الدينية القديمة يعرف بلا شك كيف كان الناس يحملون على محمل الجد هذه الفكرة عن رحلة في أرض الأموات ، كما هو الحال في المعتقدات المصرية القديمة . ولما كانت القبور تشيد الآن بعيداً عن منازل الأحياء ، فقد صارت « الرحلة الأخيرة » للميت حقيقة واقعة .

والرموز الجنسية ليست قاصرة على الأحلام فقط ؛ فكلكم يعرف أننا نطلق على المرأة كلمة « شنطة »(٢) عندما نريد أن نحتقرها ، ولكن ربما لا يعلم الناس أنهم بذلك يستخدمون في حديثهم رمزاً جنسياً . ونحن نقرأ في كتاب « العهد الجديد » أن : « المرأة هي الوعاء الأضعف » وفي الكتب المقدسة لبني اسرائيل ، وهي تمتاز بأسلوبها الذي يقرب جداً من الأسلوب الشعري ، نعثر على كثير من التعبيرات التي تحتوي على رموز جنسية ، والتي لم يفسرها الناس دائما على الوجه الصحيح . أما في الآداب العبرانية التي جاءت بعد ذلك ، فالمرأة تشبه غالباً بمنزل ، بينما الباب يمثل الفتحة التناسلية ؛ وعلى هذا نرى الرجل يتشكى عندما يكتشف أن المرأة لم تكن عذراء فيقول أنه « قد وجد الباب مفتوحاً » وفي هذه الآداب نرى أيضاً أن «المائدة» يكثر استعمالها كرمز للدلالة على المرأة ، فتقول المرأة عن زوجها : « لقد مددت له المائدة ولكنه قلبها . » ويقال عن الأطفال المرج أن عاهتهم ترجع إلى أن الرجل قد « قلب المائدة . »

وعلماء الكلام يعضدون الاعتقاد بأن السفن في الأحلام تمثل النساء . فهم يؤكدون أن كلمة Schiff (سفينة) كانت في الأصل اسما لوعاء من الخزف ، وتؤدي نفس المعنى الذي تؤديه كلمة Sshaff (دنّ أو وعاء من الخشب) . وأما كون « الفرن» يمثل المرأة أو رحم الأم ، فتفسير تعززه الرواية الأغريقية عن « بيرياندر » وزوجته « ميليشيا » ، وذلك أن الطاغية ، كما يروى « هيرو دوتس » ، بعد أن قتل امرأته بدافع الغيرة ، وكان قد أحبها حباً جارفاً ، ناشد خيالها أن يخبره بشيء عن نفسه ، وعند ذلك أثبتت المرأة الميتة شخصيتها بأن ذكرته بأنه . أي « بريانذر » قد « وضع خبزه في فرن بارد » وقد عبرت بهذه الصيغة المستترة عن حادث لم يكن أحد على علم به . وفي كتاب للكاتب « رأف . رأس . كروس » (anthrobophyteia) يدعى « F. S. Kraus » وهو موسوعة لا غنى عنها لمن يريد أن يلم بكل ما يخص الحياة الجنسية عند الشعوب المختلفة ، نقرأ أن الناس في حي خاص من ألمانيا يقولون عن المرأة عندما تضع طفلا أن « فرنها قد تفتتت أجزاؤه » . وأشعال النار وكل ما يتعلق بذلك تتخلله كثير من الرموز الجنسية ، فاللهب دائما يمثل القضيب ، بينما الموقد أو المدفأة تمثل رحم المرأة .

وإذا كان قد اتفق أن أخذكم العجب لكثرة وقوع « الأمتاع » في الأحلام كرمز للدلالة على الأعضاء التناسلية للانثى ، فإن في استطاعتكم أن تعلموا من أساطير الأقدمين كيف كانت « أمنا الأرض » تلعب دوراً كبيراً في أفكار الناس ومعتقداتهم ، وكيف كان فهمهم للزراعة كله محدداً بهذا الرمز. وإذا كانت الحجرة في الأحلام تمثل المرأة ، فإنكم قد تميلون إلى إرجاع هذه الحقيقة إلى الكلمة الألمانية Frauenzimmer (ومعناها الحر في حجرة المرأة) التي تستخدم في اللغة السامية للدلالة على المرأة (Frau) ، أي أن المرأة تمثل بالمكان المخصص لها لتشغله : ونحن كذلك نتحدث عن « الباب العالي » ونقصد بذلك السلطان وحكومته ، كما أن كلمة « فرعون » التي كان يطلقها قدماء

(١) ونحن نقول في النص : « انتقل فلان الى جوار ربه » . والانتقال والارتحال واحد .
(٢) اللفظة المستعملة عندنا هي « برميل »

المصريين على الحاكم معناها « الفناء الأعظم » (الفناء الذى يقع بين بوابتى المدينة كان يستعمل فى الشرق قديماً كمكان للاجتماع مثل الأسواق فى العصور الكلاسيكية) ولكنى أحسب أن هذا الاشتقاق سطحى جداً ، وإنما يتهيأ لى أن الأكثر احتمالا هو أن الحجرة قد صار استعمالها كرمز للدلالة على المرأة لما لها من خاصية الاحتواء بداخلها على بنى الإنسان . وقد سبق لنا أن رأينا المنزل يستخدم فى نفس المعنى ؛ وإذا رجعنا إلى الأساطير والشعر فإن فى استطاعتنا أن نعتبر المدن ، والقلاع ، والقصور ، والحصون ورموزاً أخرى كذلك تمثل المرأة . وهذه النقطة من الممكن البت فيها إلى رجعنا إلى أحلام الأشخاص الذين لا يتكلمون الألمانية أو يفهمونها . وقد حدث فى السنوات الأخيرة أن أغلب مرضاى كانوا من الأجانب ، وانى لأحسبنى أتذكر أن الحجرة كانت تبدو فى أحلامهم أيضاً الدلالة على المرأة ولو أنه لا توجد فى لغتهم العامية كلها تقابل كلمة Frauenzimmer عندنا. وهناك دلائل أخرى على أن الرمزية تتجاوز حدود اللغات وهى حقيقة سبق اثباتها قبل الآن على يد الباحث القديم « شوبرت » (Schubert) عام ١٨٨٢ . ومع هذا فإنه لا يوجد بين مرضاى من يجهل اللغة الألمانية جهلا تاماً ، وعلى هذا فإننى أترك هذه النقطة ليبت فيها أولئك المحللون الذين فى استطاعتهم أن يجمعوا شواهد من بلاد أخرى لا يتكلم أهلها إلا لغة واحدة فقط

والرموز المستعملة للدلالة على العضو الجنسى المذكر لا يوجد بينها رمز لم يجر استعماله فى معرض المداعبة أو الحديث المبتذل ، أو فى الأسلوب الشعرى خصوصاً عند القدامى من الشعراء الكلاسيكيين ونحن لا نعثر هنا على الرموز التى تقع فى الأحلام فقط ، بل على رموز أخرى كذلك مثل « الأدوات » المستعملة فى أنواع العمل المختلفة وأهمها « المحراث » . وفضلا عن ذلك فيدان الرموز المذكرة ميدان متسع إذا نزلنا إليه تعرضنا لكثير من المناقشات والجدل ، وعلى هذا فسنتجنب ذلك خوفاً من ضياع الوقت . ولكنى أريد فقط أن أوجه بعض الملاحظات إلى الرمز الذى يظهر كثيراً قائماً بذاته ؛ أعنى العدد « ثلاثة » . فهذا العدد تحيط به هالة من القداسة لا نستطيع أن نقرر بعد إن كانت ترجع إلى دلالته الرمزية ، ولكن يبدو أنه مما لا شك فيه أن الأشياء الطبيعية الثلاثة الشكل مثل عود البرسيم تستخدم كشعار لدلالتها الرمزية . وزهرة الزنبق الفرنسية بأجزائها الثلاثة يقال انها ليست إلا صورة تذكرية للعضو الجنسى المذكر ، وكان الناس فى العصور القديمة يعتقدون أن « الأيقونة » منها هى أقوى الوسائل التى تدفع عنهم الشر والأذى ، والدليل على ذلك أننا نجد فى هذا العصر أن الطلاسم التى تجلب الحظ السعيد ما هى إلا رموز تناسلية أو جنسية . دعونا ننظر فى بعض هذه الطلاسم التى تصنع على شكل (دلايات) من الفضة وهى : عود البرسيم ذو الأربع ورقات ، والخنزير ، وعش الغراب ، وحدوة الحصان والرجل الذى يكنس المدفأة ومعه سلمه ، أما عود البرسيم ذو الأربع ورقات فقد حل محل العود ذى الثلاث ورقات الذى كان فى الواقع أنسب للغرض المطلوب وهو الرمزية ، وأما الخنزير فرمز قديم للاخصاب ، وعش الغراب يمثل القضيب من غير شك ، بينما حدوة الحصان ترسم المنحنى الذى تتخذه الفتحة التناسلية للأنثى . وأما « الرجل الذى يكنس المدفأة » بسلمه فينتمى إلى هذه المجموعة لأن وظيفته تقارن دائماً بعملية الجماع فى الأحاديث المبتذلة . وقد تعلمنا من الأحلام كيف يظهر هذا السلم كرمز جنسى ، وهناك تعبيرات فى اللغة تدل على ما لكلمة « Steigen » (يصعد) من الدلالة الجنسية المطبقة مثل قولهم Den Fruen nacheteigen (يجرى وراء المرأة) . وهكذا الحال أيضاً فى اللغة الفرنسية حيث نجد أن كلمة La marche معناها « درجة » وأن الرجل العجوز المتهتك يطلق عليه : un vieux marcheur ورعا كان هذا الترابط بين الأفكار يرجع إلى أن عملية الجماع عند الحيوانات الكبيرة تستلزم أن يعتلى الذكر أو يركب على الأنثى .

أما تمثيل العادة السرية رمزياً بوساطة جذب فرع من الشجرة فليس مما يتفق مع الأوصاف العامية المبتذلة لهذه العملية فحسب ، بل إن له كذلك أشباهاً فى الأساطير . ولكن الغريب الذى يلفت النظر حقا هو تمثيل العادة السرية أو على الأصح الخصاء كعقاب الادمان عليها ، بسقوط أو اقتلاع الأسنان ؛ لأننا نجد فى القصص الشعبية مقابلا لذلك لا يمكن أن يلم به إلا قليل من الحالمين . فانى أظن أنه ما من شك فى أن « الختانة » وهى عادة عند كثير من الشعوب ، تعتبر معادلة أو بديلة من الخصاء . وقد وصل إلينا منذ عهد قريب أن بعض القبائل الشاذة فى أستراليا تمارس الختانة كطقس للدلالة على البلوغ بينما بعض القبائل الأخرى التى تجاورها قد استبدلت هذه العادة بعادة أخرى وهى اقتلاع إحدى الأسنان .

(يتبع) محمد جمال الدين حسن

حيفا تحت أضواء القمر

للأستاذ حسن البحيري

إذا نظرت عيناك من بسيط الغمض
مصابيح (حيفا) وهي باهرة الومض
رأيت السنى لف الدجى ورأيتها نجوم سماء قد نثرن على الأرض
وإن جلت بالطرف اللموح وأنت من
ذرى (الكرمل) الشم الشماخ على نهض
وشارفت أرجاء (الخليج) بظلها وأمواجه بين التبسط والقبض
وقطر السنى ينهل من قمر الدجى فيغسل وجه الماء بالذهب المحض
تصورته صبحاً ... (وحيفا) وسحرها
بقية ليل عند شاطئه الفضى
بقية ليل قد تجمع نجمها
مضى الليل عنها .. وهي بالنجم لم تمض !

(حيفا) حسن البحيري

مسابقة شهرية :

إلى أبي العلاء ...

للشيخ محمد رجب البيومي

ألف دقيقة أم ألف عام كأنك لم تزل تبدو أمامي
أراك تسير بين الناس مثلي فأسأل هل فررت من الحمام
وأقسم قد لمحتك ذات يوم فسرت إلى لقائك في اهتمام
وجئتك والسرور يقيم نفسي ويقعدها على غير انتظام
فأوقعني جلالك في ذهول فلم أفطن لإلقاء السلام
ولو أني ملكت زمام نفسي لأديت التحية باحترام
لدى إليك أسئلة فأسرع بأجوبة تسل بها أوامي
علام لزمت بيتك وهو سجن حمدت بظله طيب المقام
سخطت على الورى فسكنت فيه ورحت تصب نقدك كالسهام
رأيت الذئب يقرب من أخيه فما لك قد بعدت عن الأنام

عذرتك حين ضقت بأم دفر وصرت تحن للموت الزؤام
فلو سلمت لك العينان حيناً لهمت بحبها كل الهيام
فمن ذا يكره الدنيا وفيها تطالعه الطبيعة بابتسام
لئن تلك قد فقدت ضياء عين فضوء حجاك كالبدر التمام
أنار لك الطريق فسرت فيه وذو العينين يخبط في الظلام

أراك مخالفاً في كل رأي فهل لك من سبيل للوئام
تعاف المال وهو أعز شيء حرمت لأجله طيب المنام
ويؤلمني خصامك للغواني فما الداعي إلى هذا الخصام
لعلك رمت منهن اتصالا فمثلك ليس يخلو من غرام
فلما أن صددن وضقت ذرعاً بهن سلكت خطة الانتقام
رأيت الفيد منية كل فرد وإن أبدى السلو على الدوام

تبعت الوهم فاستحدثت رأياً خلطت به الحلال مع الحرام
فهالك أن ترى الفصاب يجرى دم الشاة الضعيفة في الرغام
فهبها لم تكن ذبحت عياناً أما سيغولها ليث الحمام
رويدك لست أرحم من إله تخيرها غذاء للأنام

نقمت على الزواج وأنت أدرى بحكمته فما هذا التعامي
وقلت لئن رزقت فتى سأجني عليه بتركه بين الطغام
حنانك ، عله يغدو مليكا يتيه على الجبابرة العظام
فتاك دعامة لك كيف تبغي خلودك في الحياة بلا دعام
جنيت عليه حين سرى لهيفاً بظهرك يشتكي حجب الظلام

قضيت العمر في شك ممض نفتش عن مصيرك في الرجام
تعز عليك روحك حين تمضي فتسأل هل تؤول إلى انعدام
شكوك حيرتك فكنت تصلى بها ناراً مؤججة الضرام
فليتك قد أرحت النفس منها ولم تنظر إليها باهتمام

تعقيبات

لصوصية أدبية :

كان صاحب مكتبة ... في بيروت قد انتهب ديوان « الجداول » للشاعر المعروف الأستاذ إيليا أبو ماضي فطبعه وباعه وربح منه دون أن يرجع إلى صاحبه أو يستأذنه أو يرد عليه شيئاً من الربح ، فعمد الشاعر إلى مقاضاته وعهد إلى أحد المحامين في بيروت برفع دعوى عليه أمام المحاكم ولكن المحكمة ردت الدعوى لأن القانون لا يتضمن نصاً بشأنها ولكن الأستاذ الشاعر كلف محاميه باستئناف النظر في مقاضاة هذا السارق الجريء .

وكان أن عمد ناشر عراقي إلى هذا الصنيع عينه ، فأخذ ديوان « الجداول » نفسه وطبعه طبعة ثانية وباعه وربح منه دون أن يرجع إلى صاحبه أو يستأذنه أو يرد عليه شيئاً من الربح فعهد الشاعر إلى أحد المحامين في بغداد لمقاضاة هذا السارق الجديد ...

ثم كان أن غنى الموسيقار المصري الاستاذ محمد عبد الوهاب مقطوعة في إحدى رواياته من شعر إيليا أبو ماضي دون أن يستأذنه أو يرجع إليه فغضب الشاعر أبو ماضي لهذا الغبن وأعلنها حملة شعواء في جريدته « السمير » التي يصدرها بنيويورك على لصوص الأدب والمتهبين للآثار الفنية في غير تورع ولا رعاية للعرف والقانون والذوق ، وقال إنه سيحاسب الموسيقار المصري ويقاضيه قانونياً على استثماره لشعره كما يحاسب صاحب مكتبة العرفان ، إذ قد حان الوقت لوضع حد للصوص الأدب في كل مكان كما يقول .

وقد تناولت مجلة « كل شيء » البيروتية هذه القصة وأوردت طرفاً من فصولها نقلا عن « السمير » ثم علقت عليها قائلة : « إن صاحب الجداول واحد من كثيرين يُنهزون في عقر كتبهم كل وقت في العالم العربي ، وليس من المعقول أن يكون للاشياء المادية حرمة وحصانة لا تتمتع بهما القضايا المعنوية ومسائل الفكر وليس من المعقول في شيء أن يحكم القاضي على سارق سبطل الحليب بستة أشهر يقضيها في السجن ولا يجد في القانون ما يحكم به على سارق نتاج الفكر ومستثمره دون إذن صاحبه ورضاه . بل ليس من المنطق في شيء أن يحكم على سارق الكتاب كقطعة مادية من الورق بالسجن ولا يحكم على سارق الكتاب كقطعة معنوية من الفكر والرأي والبحث » ...

والواقع أن هذه السرقات التي نحن بصددها ليست سرقات أدبية ، فالسرقة الأدبية على ما هو مألوف أن يأخذ الشخص أثر غيره وينسبه لنفسه ، وهؤلاء الثلاثة قد نسبوا إلى الأستاذ أبو ماضي شعره وأثره ولكنهم انتفعوا بما أخذوا وربحوا منه مادياً ولم يشركوه في هذا الربح ، بل إنهم ربما فوتوا عليه بهذا العمل ربحاً أكبر وأجزل حتى لو أشركوه معهم ، وإذن فالسرقة سرقة مادية كسرقة المتاع .

وليس من قصدي أن أكيّف هذه السرقة من الناحية القانونية ، ولكني أقول إنها على أي حال لصوصية جريئة يجب أن يعاقب مقترفوها كما يعاقب سارقو المال والمتاع ، وإذا كانت قوانين الدول العربية كلها قد أغضت عن اعتبار هذه المسألة وتقديرها فإن من الواجب على الأدباء ورجال الفكر في العالم العربي أن يفزعوا لحماية أنفسهم وصيانة آثارهم بأن يتداعوا لوضع مشروع يدفع عنهم هذا الاستهتار ، ويقرر عقاباً رادعاً لأولئك المستهترين أو فليتوجهوا إلى الجامعة العربية لإنجاز ما هي بسبيله من وضع قانون عام في الشرق العربي لحماية الملكية الأدبية .

لا تنتظروا حتى ينتصف لكم رجال القانون أيها الأدباء ، بل بادروا أنتم بالانتصاف لأنفسكم ، فنحن في زمن يدفع فيه كل إنسان عن نفسه .

دمت الخمر ثم غرست كرماً ... مددت ظلاله من ألف عام

فها هو شعرك الجذاب يتلى ... فيفعل بالنهى فعل المدام

علام قد التزمت به قيودا ... ألم تك في غنى عن الالتزام

تحاول أن تفوق الناس طراً ... وتلك طبيعة الرجل الهمام

بيان يرتقي بالروح حتى ... يطير جناحها فوق الغمام

تكاد إذا رقيت به مريضاً ... تسري عنه آلام السقام

رهين المحبسين وددت أني ... بلغت بمدحتي حد التمام

ولكني ختمت القول عجزاً ... فما أدنى ابتدائي من ختامي

محمد رجب البيومي

أليس من العجيب أن ترجع الجامعة العربية إلى رجال القانون وإلى موظفي الحكومات العربية في وضع القانون الذي تريده لحماية الملكية الأدبية ولا ترجع إلى الأدباء وهم الذين يعرفون الأبواب المفتوحة للسطو على هذه الملكية ؟!

يا قوم حسبكم :

في أواخر القرن الماضي كتب الشيخ أحمد فارس الشدياق وصفاً للبيئة المصرية وطبيعتها قال فيه : « وإن من خصائص البيئة المصرية البارزة أن الطربوش فيها يضيق ويضيق ثم يضيق ، وأن البرنيطة فيها تتسع وتتسع ثم تتسع » .

والمعنى المقصود في هذا التعبير الطريف أن المصريين مغفلون بلهاء ، فهم يعيشون في بلادهم غرباء ، على حين ينعم الأجانب الوافدون بكل ما فيها من خيرات ومبرات ...

ولقد مضى أكثر من نصف قرن على هذا الكلام ولقد تطورت الدنيا وتنورت الأذهان وأصبحت كل أمة تبحث عن نفسها وكل فرد يعمل على تقويم شخصيته ، ولكن يظهر أن المصريين لم يتحرروا بعد من تلك الطبيعة القديمة ، فهم لا يزالون يؤثرون أن يعيشوا في بلادهم غرباء ، ولضيوفهم كرماء ، أو قل أرقاء ، ومصداق ذلك ما بدا من بلدية الإسكندرية الكريمة الموقرة إذ قررت إقامة تمثال في حديقة مكتبة الإسكندرية الجديدة للشاعر اليوناني قسطنطين كفافي ...

وقد يعنيك أن تسأل : ومن يكون ذلك الشاعر اليوناني وماذا أسدى للثقافة وأجدى على مصر أو بذله في خدمتها حتى تؤثره بلدية الإسكندرية بذلك التخليد على أبناء مصر من العظماء والأفذاذ ولكنك لا تلمس أي مبرر من تلك المبررات ، وامل الأمر لا يخرج عن اقتراح تقدم به عضو يوناني في القومسيون إكراماً لواحد من بني جنسه فسارعت البلدية بالموافقة على ذلك نزولا على قاعدة : كرماء لضيوفنا !

لقد أذيع أن رابطة أدباء الإسكندرية غضبت لهذا التصرف العجيب واحتجت لدى وزارة الداخلية على قرار البلدية « بإقامة تمثال لشاعر يوناني لا أثر له في خدمة القضية المصرية ولا الثقافة المصرية ولم يكتب كلمة واحدة لمصلحة مصر قديماً أو حديثاً » .

وقالت في احتجاجها « لقد كان الأولى بالبلدية أن تقيم في ساحة مكتبتها تمثالا لشوقي أو حافظ أو البارودي أو المنفلوطي أو مصطفى صادق الرافعي أو غيرهم ، فإن لديها الكثير الثمين من تراث عظماء المصريين قديماً وحديثاً الذين حملوا لواء الاستشهاد في سبيل مصر وإذاعة فضل بلادهم وهم أولى بالتخليد وأجدر بالتكريم .. »

ونحن على يقين من أن وزارة الداخلية ستتلافى هذا القرار ، ولكنا نرجو أن لا يقف الأمر عند هذا الحد ، بل الواجب أن نؤدب تلك البلدية الغريبة عنا ، والتي لا تحترم كرامتنا ، ولا تعتز بقوميتنا ، فكأنها بلدية أثينا لا بلدية الإسكندرية ..

فيا قوم حسبكم ، اتقوا الله في وطنكم إن كنتم مواطنين ، واتقوا الله في مصر التي آوتكم إن كنتم وافدين ..

« الواعظ »

الادارة الهندسية القروية بأسيوط

تقبل الادارة الهندسية القروية بمجلس مديرية أسيوط عطاءات حتى ظهر يوم ٢٥/٩/١٩٤٧ عن إنشاء اثنتي عشرة عملية مياه بيردبه بنواحي مديرية أسيوط وتشمل كل عملية توريد وتركيب ماسورة ارتوازية قطر ٢ بوصه وطلمبه يد بطاره وخزان مرتفع سعة ٢ متر مكعب وحواملة — ومواقع العمليات والرسومات يمكن للمقاولين الاطلاع عليها بالادارة الهندسية بأسيوط أو مصلحة الشئون القروية بمصر ويطلب دفتر الشروط والمواصفات على ورقة دمغة فئة ثلاثين مليما نظير مبلغ جنيه واحد بخلاف مائة مليم أجرة البريد . ٧٧٩٣

الأدب والفن في أسبوع

اجتراء :

من نحو أسبوعين كنت قريباً من المذياع ، فاسترعى انتباهي أحد المذيعين يقدم الأستاذ علي الجارم بك ليلقي قصيدة «السودان» فتوقعت أن يكون الأستاذ الجارم قد حفزت شاعريته قضية الوادي الماثلة في مجلس الأمن ، فاستجابت بقصيدة جديدة لدواعي الظروف القومية الحاضرة . وأصغيت إليه وهو يقول بإلقائه المرنم الجميل :

يا نسمة رنحت أعطاف وادينا قفي تحييك أو عودي فحيينا

واستمر في إنشاد القصيدة ، ينتقل من التغني بالنسمة التي هبت من جنوب الوادي فأثارت شوقه إلى السودان ، إلى الحديث عن الرحيل في القطار إلى أسوان ، ومنه إلى الباخرة النيلية ، ثم إلى القطار في صحراء العتمور ، حتى يصل إلى الخرطوم ، فيشيد بأهلها الذين تجمعنا بهم شتى الروابط .

قصيدة جميلة ولا شك ، ولكن هل توصف بالبلاغة التي قال البلاغيون إنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال ؟ والسؤال بعبارة أخرى : هل هذه القصيدة تطابق مقتضى الحال الحاضرة بمعنى أنها تعبر عن قضية السودان كما هي مثارة الآن من حيث وحدة الوادي ، وإنكار الإنجليز لها ، وحجتنا ، وأباطيلهم ، ومن حيث شعور الشاعر إزاء ذلك وتصويره له ؟

إنها ليست كذلك ، ولكن الجارم شاعر بليغ ، فما السر إذن ؟

السر أن القصيدة قديمة ، قالها الجارم منذ سنين في أثناء زيارته للسودان ، وألقاها في نادي الخريجين بالخرطوم ، وذهب كاتب هذا إلى السودان على أثر ذلك ، فسمع حديث هذه القصيدة هناك ، وحسن وقعها من نفوس إخواننا السودانيين وترديدهم لأبياتها .

وقد يمكن أن يمر الإنسان بأمر إذاعتها في الوقت الحاضر مر الكرام ، ملتمساً له أدنى الملابسات ، وملتمساً للشاعر عذراً من الرغبة في التمتع بالكسل ...

ولكن حدث في يوم الأحد الماضي أن سمعت بالمذياع نفس القصيدة مرة أخرى بنفس الصوت والإلقاء ، صوت الجارم وإلقائه الجميل ، وقد تكون أذيعت في وقت آخر ولم أسمعها ، وقد تكون سجلت ، وستتكرر إذاعة السجل .

وقد نستسيغ تكرار السجلات الغنائية ، ولكن لم تكرر إذاعة هذه القصيدة ، وهي على ما ذكرنا من القدم وعدم ملاءمة الحال الحاضرة ، ولم تغنّ ، ولم « يغردها » فتحي بك ..؟

أراك تهم أن تقول غردها الجارم !

الشعر وقضية الوادي:

وقد كان لقضية الوادي في بعض شعراء الشباب بعض العزاء ، فقد أذاع الأستاذ محمود حسن اسماعيل قصيدة ذات نبض وحياة ، عنوانها « النيل ، على ضوء قضية الوادي » ويشتغل الآن عبد الوهاب بتلحينها لغنائها وتسجيلها للاذاعة

وإذا كان العيد ، كما قالت الكاتبة البليغة السيدة متيبة الكيلاني في مقالها بالرسالة ، يأتي « فيكون بين العيد وسادته ليلة العيد حديث ونجوى ؛ فبين معيد ووسادته من ثورات النفس ودوار الرأس وجهد الخاطر الكليل ما بين معيد ووسادته من بسمة الأمل رهشة الرجاء وتطلق الوجه » فيختلف الشعور به باختلاف الأفراد ، وإذا كانت الأمم في ذلك كالأفراد ، فإن شعور الأمة بالعيد الفائت كان مشوباً بالتطلع إلى ما عساه أن يتم في قضيتها الحاضرة ، ولم يعدم هذا الشعور من يعبر عنه ، فقد قال الأستاذ فريد عين شوكة في قصيدة له بالأهرام :

بليـة من بلايا الاحتلال وما لديه إلا جنـايات وإرهاق
وحسبه ما دهانا من معاهدة بها قيود ثقيلات وأطواق
رمت بنا في لظى حرب مروعة ما كان فيها لنا عير ولا ناق
حتى إذا وضعت أوزارها جحدت
جهودنا في سبيل النصر أرفاق
وأنكروا ما احتملنا في تحللهم وكم بلينا وفقنا مثل ما ذاقوا
بل يدعي القوم أن كانوا لناوزراً من الغزاة ! فيا للحق يهراق

يامصر ، ماالعيد إلا أن يطالعنا يوم الجلاء له حسن وإشراق
وأن يوحد وادى النيل مملكة يضمها علم للنيـــل خفاق

زيتونه فى قرطاس من الشعر :

كتب الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى فى أخبار اليوم مقالا طريفاً بعنوان « زيتون فى قرطاس من الشعر » قال فيه : إنه ضاقت به الحال فى بعض سنوات الحرب العالمية الأولى ، فاضطر إلى بيع بعض ما لديه من الكتب بالأقة ، وكان فى جملة ماباع النسخ الباقية عنده من مؤلفاته ، واتفق يوماً أن اشترى من بقال زيتوناً ، فلما أفرغه فى البيت وجد قرطاس الزيتون منزوعاً من ديوانه الذى كان فيما بيع بالأقة !

ثم قال : « من ذلك اليوم بدأ رأيي يتغير فى الأدب وقيمته وما قيمة أدب مصيره إلى دكاكين البقالين ومن إليهم ؟ وما زلت أكتب وأنشر ، وإن لى لنصيبى من الغرور الذى لاتطاق الحياة بغير قدر كاف منه ، ولكنى حلت شيئاً فشيئاً حتى صرت أشبه بنجار لا يأسف على حجرة جلوس أو مائدة باعها ، وقد خلت نفسى من ذلك الشعور (بالأبوة) لما أكتب ، فليس يعنينى مصيره » إلى أن قال بعد ما أبان أنه غير راض عما كتبه : « وأتعجب كيف كتبت هذا التخريف ؟ وأتساءل : لماذا عجلت ؟ لم لم أنتظر حتى أنضج ؟ »

ورجل كالمازنى له ماضيه فى الأدب ، من حقنا أن نتعقبه ، فلا ندعه يقول ما يقول عن نفسه دون أن نتبين وجه الحق فيه وإن ما كتبه وألفه أصبح جزءاً هاماً من أدب العصر ، فإذا تخلى عن « أبوته » فإن له أقارب آخرين من حقهم أن يروا فيه وفى أبيه التخلى ما يرون ...

ولكن ... أراني أزلق إلى فخ .. وهاهو ذا « المكار » يبتسم ، فقد أوشكت على الوقوع !

لقد ذكرت ما كان قد قاله له الأستاذ العقاد ، بصدد براءته من شعره ، وكنت قد تحدثت عن ذلك فى عدد مضى من الرسالة قال العقاد إن المازنى مكر بإنكار الشاعرية على نفسه ليتسابق إليه الناس ويضموه فى مكانه من الطليعة ، ولكنه انتظر عاقبة مكره دون جدوى حتى الآن ...

فهل هى « مكرة » أخرى .. ؟ على أن الأستاذ المازنى ليس بحاجة إلى هذا المكر بالإضافة إلى ما سلف من أدبه ، ولعله يشعر بالحاجة إليه الآن .. فقد نضج قبل اليوم بزمان ، ولم يعجل كما يقول ، وليته يعود إلى ما يدعيه من « العجلة وعدم النضج » وإن كنت أود ألا يعود إليه الزيتون الأسود فى قرطاس من شعره

نظرف بعض الأدباء :

اعتاد لفيف من الأدباء أن يتلهوا بالتفكير فى أشياء يتوقعون أن تستملح وتستطاب وتعد من طرائف الأدب وفكاهاته . وتلقفها منهم بعض المجلات الفكاهية فتنشرها ليضحك منها من تضحكه أمثالها

رأينا مرة أنهم ألفوا « رابطة الفضوليين » ومرة أخرى كونوا « جماعة الثقلاء » واشترطوا الدخول فى هذه وتلك كذا وكذا من الشروط التى تقطر ، بل تنهمر ، ظرفاً .. وهى تنطبق طبعاً على حضرات المؤسسين .

والناس يقرؤون هذا كله على أنه من نتاج أفكار الأدباء الظرفاء ، وأنهم أبطاله ، أى أنهم ظرفاء ، وفضوليون وثقلاء . .

وآخر ما أسفر عنه ذلك الظرف « عيد ميلاد فقير الحرب » ومن يكون فقير الحرب عند فقراء الأدب غير « الأديب » المحلى بأل التى هى هنا لجنس الأدباء ؟ ! ومن قول أحدهم فى تكريمه « عيد ميلاد فقير الحرب هو عيد ميلاد الأدباء جميعاً » وعلى هذا المنى دار المحتفلون حول أنفسهم ... ثم نهض الفقير صاحب العيد — ممثلا فى أحد الأدباء الظرفاء — يعبر عن فقره ويتحسر على سوء حاله ! وكان هذا سمر الأدباء فى رمضان فى « أحد مقاهى الحى اللاتينى القاهرى » الذى استحق أن ينشر بإحدى المجلات فى عدد خاص بالعيد ..

لا أنكر على أحد أن يمرح ويتفكه بما يريد ، ولكن ما كل شىء ينشر ، وهذا الذى رآه الناس منشوراً يلصق بالأدباء سمة التسكع ويومىء إليهم بشىء من الازدراء . ومن عجيب المفارقات أن أكثر هؤلاء الأدباء ليسوا من الفقراء ، فمنهم الموظفون ذوو الدرجات العلى ، ومنهم صاحب العمل الناجح ، وفيهم ذو الفن المربح ؛ وليس كل من قاله الثراء الطائل بفقير ، وإذن فما « الأدب

والفقر شقيقان » كما قال أحدهم . والفقراء المتكعون حقيقة هم الأدعياء المتلصقون بالأدب

على أن ذلك الذى يشغل به أولئك الأدباء أنفسهم ليس فيه قطرة من ماء الظرف ، وإن كان به ماء آخر ينفع فى هذا الصيف القائظ .

أول صندوق للبريد :

كتب الأستاذ حبيب جاماتى بمجلة الصور فى « تاريخ ما أهمله التاريخ » يقول إن أول صندوق للبريد أنشأه المهدى الخليفة العباسى ، وذلك أنه رغب فى استماع شكايات رعاياه دون أن يكون بينه وبينهم وسيط ، فكان يفتح أبواب قصره فى أيام معينة من أيام الأسبوع ليدخلها من يريد بلا استئذان ، ليمثل بين يديه ويخاطبه فى الأمر الذى يشكو منه . ولكنه رأى أنه قد يكون هناك من وقع عليهم ظلم أو من يعانون فقراً ولا يجرؤون على الدخول عليه خشية أن تعقد ألسنتهم الرهبة فلا يستطيعون الإفضاء بشكواهم ، فعول على تسهيل الأمر عليهم بتيسير أسباب الاتصال به بطريق الكتابة ، فأمر أن يوضع على كل باب من أبواب القصر صندوق كبير مثقوب من أعلاه مثبت إلى الحائط بمسامير ، لكى يضع فيه كل صاحب شكاية شكايته مدونة فى رق أو قرطاس ، واحتفظ هو بمفاتيح تلك الصناديق ، فكان يفتحها كل يوم بنفسه ثلاث مرات ، ويطلع على الشكايات ، ويفحصها واحدة واحدة ، وينصف أصحابها بقدر ما يستحقون الانصاف

فكان هذا أول صندوق للبريد فى التاريخ ، وكان المهدى أول من أنشأه.

والأستاذ حبيب جاماتى يكتب كثيراً من المعلومات التاريخية الطلية ، ويحلوها ويشوق إليها بأسلوب سهل بسيط ، تحت عنوان « تاريخ ما أهمله التاريخ » ولكن هل هذه المعلومات أهملها التاريخ ؟ ومم استقاها إذن ؟ ! ألا يوافقنى على ضرورة تغيير هذا العنوان ؟

السينما بمناسبة « المنتقم » :

كان إنتاج السينما قد كثر بمصر فى أثناء الحرب الماضية ، وعلى كثرته فات فيه القيم الفنية ، وكان ذلك انحداراً بالفن المصرى الذى نشأ من قبل ، وكان فى نشأته خيراً مما صار إليه أخيراً

وأبرز عيوب الفلم المصرى ، من حيث التأليف والإخراج ، خلوه من الفكرة ، وقصوره فى تصوير النواحى المختلفة للحياة المصرية ، وعدم طواعية الأبطال للطبيعة البشرية ، فالبطل مثلا هو أبو زيد الهلالى الذى لا يهزم ولا يخطىء ، وتكييف الحوادث بحسب ما يريد البطل الأول من المظاهر الاجتماعية ، والاعتماد فى التأثير على مؤثرات تهريجية لا على الإبداع الفنى

وقد كان الناس فى خلال الحرب ، وخاصة العمال الذين نالهم رخاء ، يبتغون التسلية والترفيه ، ولكن حال الجمهور تغيرت بعد الحرب ، لتنبه الوعى القومى ، وارتفاع نسبة المستنيرين حتى بين العامة ، فهز كتفه إزاء البضاعة المعروضة وأعرض عنها إعراضاً أيقظ أولئك المنتجين من أحلام مكاسبهم ، فقبضوا أيديهم ، وكفوا عن الإنتاج

وكان ذلك بشيراً بتطور جديد فى هذا الفن ، يلتمس فيما يجد من الأفلام . وعلى ذلك اهتممت بمشاهدة رواية « المنتقم » فوجدتها محاولة ليست بذات نصيب كبير من التوفيق ، إذ لم تتغلب على أكثر ما ذكرت من العيوب العامة الحاضرة ، ففكرتها تافهة وهى تقوم على شخص اعتدى عليه فتشبع بفكرة الانتقام ولكنه يقتنع أخيراً بأن السامح كريم

ومعمل الأدوية الذى بدأت به ودارت عليه حوادث الرواية ليس من الصور المصرية ، والأشخاص بها ليسوا من البشر فالخيرون هم الخير كله والشريرون هم ذات الشر ، وأراد البطل أن يكون أرستقراطياً حتى بعد أن عمى وخرج من العمل فكان له ما أراد . ولكن الرواية مع ذلك اعتمدت على الفن المبرز فى هدوء وانسجام وخلت من المؤثرات التهريجية ، وهذا هو فى رأيى ما يحسب لها فى التطور الجديد المتوقع لفن السينما

ولا شك أن هناك نواحى أخرى لرواية « المنتقم » ليس هنا مكان التعرض لها ، وإنما قصدت إلى بيان عيوب فى بناء قصة السينما على العموم بمناسبة عرض « المنتقم » وبيان موقف هذا الفلم من تلك العيوب ، لتبين الطريق نحو ما يرجى من التطور الجديد.

« العباسى »

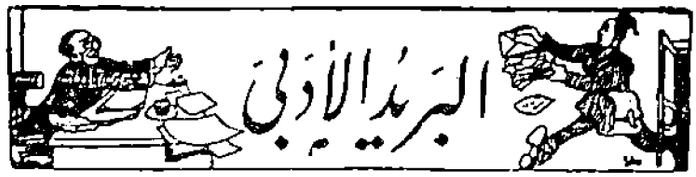

في التصوف الإسلامي وتأريخه :

أطالع مؤلفاً اسمه (في التصوف الإسلامي وتأريخه) للعلامة (نيكولسون) عربه[1] وعلق عليه العالم (أبو العلا عفيفي) أستاذ الفلسفة بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول فأجد هذا القول :

« ... ولكن صاحب الفهرست يخبرنا أن أستاذه (أي أستاذ معروف الكرخي) كان يدعى فرقدا السَّنجي وأن فرقدا هذا قد أخذ عن الحسن البصري الذي أخذ عن مالك بن أنس ».

ويعلق الأستاذ المعرب على (السنجي) كما ورد في المتن بهذه التعليقة :

« لا يعرف ضبط هذه الكلمة على وجه التحديد فقد تكون نسبة إلى سنج بالفتح أو سنج بالكسر ».

وقد رأيت أن أتقرب إلى فضل هذين العالمين برواية هذه الأسطر عن (اللباب في تهذيب الأنساب)[2] و (تاج العروس في شرح القاموس) ، جاء في (اللباب) :

« السبخي : بفتح السين والباء الموحدة وفي آخرها خاء معجمة ، هذه النسبة إلى السبخة وهي معروفة ، والمشهور بهذه النسبة أبو يعقوب فرقد بن يعقوب السبخي العابد من أهل إرمينية[3] وانتقل إلى البصرة وكان يأوي إلى السبخة بها فنسب إليها ، روى عن الحسن وغيره ، روى عنه العراقيون ، توفي قبل سنة (١٣١) ولم يكن بالحافظ للحديث ».

وقال صاحب التاج :

« السبخة محركة ومسكنة أرض ذات نز وملح ج سباخ ، والسبخة ع (أي موضع) بالبصرة منه فرقد ابن يعقوب العابد توفي سنة (١٣١) وفي الحديث أنه قال لأنس وذكر البصرة : إن مررت بها ودخلتها فإياك وسباخها ، وهي الأرض التي تملوها اللوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر ».

وكان السبخي الصوفي هذا يحرم طيبات ما أحل الله لعباده فلا يأكل الفالوذج ولا يلبس الخز ، قال ابن الجوزي في (صيد الخاطر) :

« دخل فرقد السبخي على الحسن وهو يأكل الفالوذج ، فقال : يا فرقد ، ما تقول في هذا ؟ فقال لا آكله ، ولا أحب من أكله ، فقال الحسن : لعاب النحل بلباب البر مع سمن البقر هل يعيبه مسلم ».

وقال ابن أبي الحديد في (شرح النهج) : « جاء فرقد السبخي[1] إلى الحسن ، وعلى الحسن مطرف خز ، فجعل ينظر إليه ، وعلى فرقد ثياب صوف ، فقال الحسن : ما بالك تنظر إليَّ وعليَّ ثياب أهل الجنة ، وعليك ثياب أهل النار ، إن أحدكم ليجعل الزهد في ثيابه والكبر في صدره فلهو أشد عجباً بصوفه من صاحب المطرف بمطرفه ».

[ورهبانيةً ابتدعوها ما كتبناها عليهم] .

السهمي

سؤال وجواب :

كتب إلي من بغداد أخي الأستاذ علي حيدر الركابي يقول : « ما هدفك من سلسلة « مرتفعات وذرنج » تقدمها للعربية باسم « ثلوج حزرين » ؟ هل هي قصة وقعت بالفعل فأردت تدوينها ؟ لقد أغنتك عن ذلك الكاتبة الأنجليزية برونتي التي أصبح لكتابها شهرة عالمية ، ومركز ثابت في الأدب وترجم إلى العربية — أم أنت اطلعت على الأصل مترجماً فأجبت بأسلوبك الـ ... أن تشوق قراء العربية إلى قراءته ؟»

---

(١) التعريب هو للفظة والمقالة وقد أخطأ من نصبه على الأولى .

(٢) الأنساب للعلامة السمعاني واللباب مختصرة للعلامة المؤرخ ابن الأثير عنيت بنشره (مكتبة القدسي في القاهرة) .

(٣) في معجم البلدان : إرمينية بكسر أوله وبفتح وسكون ثانيه وكسر الميم وياء ساكنة وكسر النون وياء خفيفة مفتوحة — اسم لصقع عظيم واسع في جهة الشمال ، والنسبة إليها أرمني على غير قياس بفتح الهمزة وكسر الميم ، وحكى اسماعيل بن حماد فتحهما معاً .

(١) جاء السبخي في صيد الخاطر وشرح النهج وغيرها كما جاء في مؤلف نيكولسون .

وأنا أقول إن شيئاً من ذلك لم يكن ، وإنما رأيت القصة في السينما فهزتني وأثرت فيّ فجمعت ما بقي في ذهني من حوادثها وشرعت أكتبها على هذا الشكل الذي شعرت أنا (والحق يقال) أني لم أوفق فيه لأني أضعت جوهر القصة في هذا الاختصار الذي لا بدّ منه ، وأنه كان خيراً لي وللأدب لو أمضيت هذه الصور والأفكار على قصة أخرى .

هذه هي الحكاية . أما القصة وترجمتها فاحسبك تصدقني إذا أكدت لك القول بأني لم أسمع بها إلا منك ، وأنك جعلتني أخجل من تقديم صورة مشوهة لقصة تقول إنها عظيمة وإنها معروفة ، وعلى كل حال فما أخذت من القصة إلا بعض حوادثها أما الصور والخواطر ، فهي لي وحدي ، لي جمالها وعليّ قبحها ، ما أخذتها من أحد .

ولك من أخيك أوفى شكره وأجل تحياته ...

علي الطنطاوي

هل هي : فمه شيب الله قرنه ؟ !

نقل الأساتذة . أحمد أمين بك ، وجاد المولى بك ، وعلي الجارم بك ، والسباعي بيومي ، وأحمد زكي صفوت في كتاب (المطالعة التوجيهية) الذي قررته وزارة المعارف لطلبة السنة النهائية بالمدارس الثانوية كلمة الخوارزمي المشهورة على هذه الصورة

« من روى حوليات زهير ، واعتذارات النابغة ، وأهاجي الحطيئة ، وهاشميات الكميت ، وقلائص جرير ، وحزيات أبي نواس ، ونشبيهات ابن المعتز ، وزهديات أبي العتاهية ومراثي أبي تمام ، ومدائح البحتري ، وروشيات الصنوبري ، واطائف كشاجم ، ولم يخرج إلى الشعر ، فلا شيب الله قرنه »

وفسروها بقولهم « أي فلا عاش حتى لا يشيب ، يدعو عليه أن يموت شاباً ! ! » فقلت له إن هذه الجملة قد وردت محرفة ثم خرج الشرح وقد وردت هذه الجملة في (ثمار القلوب للثعالبي) « فلا أشب الله قرنه » وجاء في لسان العرب بعد أن بين معنى الشياب « وأشبه الله وأشب الله قرنه بمعنى » وفي محيط المحيط للبستاني « . وأشب الله الغلام جعله يشب ، وأشب قرنه أطال عمره ، وهو من باب الكناية لأنه إذا شب قرنه وهو مساو له في العمر شب هو أيضاً ، ويقال للغلام في الدعاء عليه : لا أشب الله قرنك أي لا جعلك تشب ، ومنه قول الحريري في مقاماته للغلام الذي استشاره — قبح الله ظنك ولا أشب قرنك . وفي الأساس لجار الله الزمخشري « وأشب الله تعالى قرنك وأشب فلان تبين إذا شب بنوه »

هذا وإني بعد — أن أوردت ما أوردت من بيان لأرجو إلى حجة العرب وإمام الأدب السيد النشاشيبي أن يتفضل فيدل الأدباء على الصورة الصحيحة لكلمة الخوارزمي هذه لأن في رواياتها اختلافاً كثيراً ، ففي كتاب (المطالعة التوجيهية) « وقلائص جرير » وفي ثمار القلوب « ونقائض جرير والفرزدق » وفي هذا الكتاب كذلك زيادة « وقلائد المتنبي » وله منا ومن أهل الأدب جميعاً خالص الشكر وأطيب التحية .

(المنصورة) محمود أبو ريه

الزرزانة وأسماؤها :

كانت لهذه الكلمة المسكينة اسم واحد متواضع معروف فأطلق عليها النابغة الأستاذ الطنطاوي في مقاله الرائع عن (الرب) المرشد الحجيرة . ثم اقترح أديب فلسطيني أن تسمى الحاشرة فاستعملت هذا الاسم في مقالي خائفة دجال ، وقد بين الأستاذ الرشدان في العدد الأخير من الرسالة خطأ استعمال هذا الاسم وقال بلزوم الاستعاضة عنه بالحاصرة لصحة مدلوله على المعنى المقصود . وأنا أخشى غداً أن يتبرى أديب آخر ويرى لزوم إطلاق الهامرة ، أو الصاهرة ، على هذه الكلمة ، ولهذا أرى تثبتاً من الأصح أن نحيلها على المجمع اللغوي في القاهرة ، فيكون مصيرها مصير كلمة « السندوتش » التي كان الناس يشكون من ثقلها على المسامع ، فلطفها المجمع وهذبها ، فأصبح يطلق عليها (شاطر ومشطور وبينهما الكامخ) وبذلك نكون قد انتقمنا من هذه الكلمة شر انتقام جزاءاً وفاقاً على ماشغلت من بال الأدباء والنحاة وأكلت من أوقاتهم ...

هنري كتماني

تصحيح :

وردت في المقال المنشور بالعدد الماضي من الرسالة عن الروحانية والمادية للأستاذ العقاد كلمة الخلية الحية ، وصوابها الخلية الحية وكلمة Blanck وصوابها Planck

قصة إسلامية :

شيخ الأندلس

منقولة عن الانجليزية

بقلم الأديب وهبي إسماعيل حق

— ٣ —

ولما تم تقديم الجميع للخليفة ، وقف اللاعبون فى صفوف منتظمة ، ودقت الطبول تعلن بدء المباراة .

وكان عدد المتبارين قد بلغ نيفاً وسبعين فارساً ، فكانت المباراة فى الدفعتين الأوليين شاقة ومرهقة ولم يفز فيها سوى عشرة منهم لهم الحق فى التسابق الأخير وهو أعنف أدوار المسابقة وأصعبها ؛ فقد ركز عمود فى وسط الساحة بالغ فى الارتفاع ، وثبت فى طرفه الأعلى بأسلاك قوية تمثال طائر كسى جميعه بالحرير الذى جعل النسيم يداعبه فيتحرك ذات اليمين وذات الشمال .

وعلى كل من الفائزين فى الأشواط الأولى أن يسدد سهامه إلى ذلك الطائر من مسافة معينة ، ويجوز قصب السبق من يوقعه على الأرض فى إحدى ضربات ثلاث ، وقد تقدموا جميعاً ما عدا إسحاق فإنه قد بقى للنهاية بحكم قانون اللعب لإحرازه البطولة فى عامين سابقين . وكان كل من يتقدم منهم يتبادل التحية مع الجماهير الحاشدة فى الملعب وهو عظيم الأمل فى الفوز ولكن التوفيق خالفهم جميعهم ، ورجعوا منكسى الرءوس يتصببون عرقاً .

ولما تقدم إسحاق وحيا الجماهير وحيته ، شمل الساحة سكون مطبق ، ورنت إليه الأبصار واشرأبت الأعناق فى تلهف ورغبة فلما أخذ مكانه وأرسل أولى سهامه إلى الطائر تابعته الأنظار وشايعته القلوب حتى استقر فى صدر الطائر وأماله إلى الخلف كثيراً فترنح الطائر للسقوط ثم أخذ مكانه الأول ولكن من غير جناحين فقط على الأرض ، فارتفعت الأصوات فى الفضاء بالتهليل والتكبير ، وتعالت بالدعوات لإسحاق . فاهتزت جوانب الملعب ، ثم عاد إليه الهدوء بعد قليل ، ولما صوب إسحاق سهمه الثانى اهتز العمود فى عنف وتقطعت أسلاك كثيرة وتمايل الطائر إلا أنه لم يسقط . فهتفت الجماهير فى صوت واحد :

— مرحى ! مرحى ! يا إسحاق ، أحرص هذه المرة فأنت البطل .

استعد إسحاق ، وسدد سهمه الأخير إلى الهدف فى عناية وإحكام فطار فى الهواء ثم نفذ إلى رأس العمود فأتى على بقية الأسلاك وهوى الطائر إلى الأرض وافترش مساحة صغيرة فى الساحة ، فدوى الهتاف فى جميع الجوانب : الله أكبر الله أكبر ولله الحمد ، فرد إسحاق تحية الجماهير بكلتا يديه ثم تقدم إلى مقصورة الخليفة وانحنى أمامه ، فهنأه الخليفة وقدم له القدح الذهبى جائزة الفوز فى ذلك العام ، فانحنى الشاب ثانية ، ثم استأذن الخليفة وانصرف شاكراً ، ثم التف حوله جمع غفير من أصحابه والمعجبين به وخرجوا إلى المدينة وهم ينشدون الأناشيد الوطنية الجميلة ابتهاجاً بهذا النصر العظيم .

أصبح الشيخ إدريس طاعناً فى السن ، قد وهت قوته ونالت منه السنون ، فضعفت حركته ، وتحللت أوصاله وصارت العزلة محببة إليه ، فابتنى لنفسه منزلا صغيراً أنيقاً فى ظاهر المدينة حيث الهدوء التام وأحاطه بحديقة جميلة زاهرة ، وعاش فيه عيشة وادعة هانئة .

ولقد كان حريصاً على أن يشهد المهرجان فى هذا العام ليقوى روح ابنه المعنوية . ولكن قعد به عن ذلك ضعف الشيخوخة . ولقد سرى إليه نبأ انتصار إسحاق بأسرع من البرق . ووفد عليه كثير من الناس يهنئونه قبل أن يعود ابنه . وقد تحامل على نفسه ومشى إلى باب الحديقة ليستقبل ويودع المهنئين وليتنظر ابنه فجاء فى رهط من إخوانه تتقدمهم هتافات وجلبة . فلما بلغوا سور الحديقة ترجلوا عن جيادهم وتقدم إسحاق إلى أبيه فقبل يديه كلتيهما . ثم عانقه عناقاً حاراً وطبع الوالد على جبهة ابنه قبلة تفيض عطفاً وحناناً . وتقدم رفقاء إسحاق فقبلوا يد الشيخ

وقدموا له التهنئة ، ثم تبعوه إلى موائد الشاى والمرطبات فمالوا منها ماطاب لهم . وقبل أن ينصرفوا قام إدريس وشكر للحاضرين صادق تهنئتهم ، ودعاهم لحفلة عشاء ساهرة ، اعتاد أن يقيمها كلما فاز ابنه فى مساء يوم المهرجان . فقبل الحضور الدعوة شاكرين وخرج إسحاق يودعهم إلى الباب ، ثم رجع والمؤذن ينادى لصلاة الظهر فأسرع مع والده إلى المسجد ، ولما رجعا إلى البيت انفرد الرجل بابنه وجلس إلى جانبه وقال له :

— إنك تعلم يا بنى أنى قد بلغت من الكبر عتياً ، وأننى هامة اليوم أو الغد ، فقد انطفأت شعلة القوة فى نفسى ، وسرى الضعف فى أعضائى ، وخطوت إلى النهاية خطوات فسيحة وأصبح لا أمل لى فى الحياة إلا أن أراك رب أسرة ورأس عائلة وإن ابنة الشيخ عبد الكريم ذات نسب ودين ، وليس لها من يدانيها جمالا وأدباً ؛ وقد حزمت الأمر أن نعقد لكما فى نهاية هذا الأسبوع والله أسأل أن يكتب لكما التوفيق ...

عقد الحياء لسان إسحاق فلم ينبس ببنت شفة . ولكن بسمة لطيفة ارتسمت على شفتيه تعبر عن سروره وفرحه . ثم دخلت أمه العجوز فضمته إلى صدرها ضمة قوية وطبعت على وجنتيه قبلة حنان وعطف ثم جعلت يده بين يديها وأخذت تمر بهما عليها مراً لطيفاً وقالت :

— بنى العزيز ! نهنىء أنفسنا بفوزك . ونسأل الله أن يحرسك ... إن عمك الشيخ عبد الكريم كان هنا قبل أن تعود وقبلنا دعوته لك لتتناول الشاى عنده بعد عصر هذا اليوم وقد دعا كثيراً من أصدقائك لتأنس بهم . وكثيراً من أصدقائه وأصدقاء والدك لتتعرف عليهم . وإنه أقام هذا الحفل ابتهاجاً بنصرك فاستبدل ملابسك وتهيأ لتلبية الدعوة . ولا تنس أن ترجع قبل غروب الشمس لتستقبل المدعوين للعشاء عندنا .

— أشكرك يا أماه ! وسألبى دعوة عمى . ولكنى لا أملك العودة فى الوقت الذى تحددينه . فذلك موكول للظروف ، فقد لا ينتهى الحفل قبل أن تغرب الشمس !

قد يكون ذلك يا بنى ولكن عمك الشيخ عبد الكريم سيكون فى منزلنا فى نفس الوقت أو بعده بقليل لأنه مدعو للعشاء هو الآخر ...

استبدل إسحق ملابسه . وأعد جواده ، ثم أخذ طريقه إلى منزل الشيخ عبد الكريم فى قلب المدينة . . وكان الشيخ عبد الكريم من سراة القوم والمقدمين فيهم ، ومن ذوى المكانة فى الدولة ولم يبق له من ذريته إلا فتاة جميلة الطلعة لطيفة التكوين ناهزت سن البلوغ ، ولقد كانت الصلة بين الرجل وبين الشيخ إدريس من أوثق الصلات وأقواها وازدادت قوة وتوثيقاً بخطوبة الفتاة لإسحاق بن إدريس ، فأصبحت الأسرتان شريكتين فى السراء والضراء ، وكان الشيخ عبد الكريم يولم كل عام فاز فيه إسحاق بالبطولة وليمة يدعو لها كبار القوم وأشرافهم .

وصل إسحاق منزل الشيخ عبد الكريم فوجدهم فى انتظاره فتقدم إلى المدعوين وحياهم وتقبل تهانيهم شاكراً . ثم التفوا حول الموائد يأكلون ويشربون مما لذّ وطاب من الحلوى والشراب وبعد أن فرغوا قام بعض المدعوين من شباب العرب بألعاب رياضية فى الفروسية ولعب السيف وركوب الخيل ... ثم تفرق الجمع شاكرين للداعى دعوته مكررين لإسحاق التهنئة ، واستأذن إسحاق بدوره وأكد على الشيخ عبد الكريم ألا يتأخر عن اللحاق به . ثم ركب جواده ولوى عنانه إلى بيته .

كانت أشعة الشمس على قمم الجبال قد اصطبغت بلون الذهب وكانت الطيور تروح جماعات إلى أوكارها على رءوس الأشجار عند ما كان إسحاق فى طريقه إلى منزله عائداً من حفل الشيخ عبد الكريم ، فما إن بلغ مقابر الخلفاء فى سفح الجبل حتى ركض جواده فى منعطف الطريق . ثم وثب وثبة عالية فى خوف وفزع وكاد إسحاق يسقط لولا أنه فارس ماهر ...

ولما هدأت ثائرة الجواد ، وخفت حدة جموحه تلفت إسحاق حوله فرأى رجلا منبطحاً على الأرض وبيده مقود حمار ، فأيقن أن كلا من الحمار والجواد قد ارتاع لرؤية الآخر فجأة ، فشرد الحمار وجمح الفرس . ووقع الرجل على الأرض .

تقدم إسحاق إلى الرجل وهو يهم بالنهوض وقال له معتذراً :

— لا بأس عليك أيها السيد الفاضل . أرجو ألا يكون قد أصابك مكروه .

فرد عليه الرجل فى كثير من العنف والجفوة فقال :

— هل كنت أعمى أيها النبى الأحمق ولم تر أنى شيء

أمامك ؟!. فقال له إسحاق فى استعطاف ولين :

— يلوح لى أنك غريب عن هذه الديار ، فهل أنت آت من بعيد ؟

— وما شأنك بى أيها المغرور ؟ إنه يهمنى أن أقول لك : إن هذه السكرة التى غمرتكم سينمحى أثرها عما قريب ، وسيعلم أولئك الحاكمون من المسلمين أن وراء الأكمة ماوراءها ، وحينئذ ستفيقون من غفلتكم ، ويثوب إليكم رشدكم . وتخف وطأة غروركم .

— هون عليك ياصاحبى ، ولا تغضب إلى هذا الحد ، وإنى أكرر لك المعذرة ، وأرجو أن تعتقد أن ذلك وقع رغم إرادتى فاغفر لى هذا الخطأ ... ثم مد يده إلى جيبه وأخرج كيساً به شىء من النقود وقال له : هاك هذه النقود ، لتجبر بها ما أصابك ولتتبلغ بها فى سفرك .

— إنك مجنون ياهذا ! فقد ظننتنى من مواطينك الأندلسيين تستهويهم فضلات المسلمين ، ألا فاعلم أننى من بلاد يبصق أهلها على الذهب إذا مسته أيد مسلمة .

فاستثار قول الرجل غضب إسحاق فقال له :

— أمسك عليك لسانك أيها الرجل واجعل لهذا الهذيان حداً

— أينا يهذى ياهذا ؟ بحق « فجوف » — إله رومانى — لم يصادفنى من هو أكثر قحة منك .

سر فى طريقك ياصاح ولا تستثرنى بأكثر مما فعلت ، فلولا أن دينى قد أوصى بابن السبيل خيراً لكان لى معك شأن آخر

— ولقطعت لسانك الذى تلفظ بهذا الهراء .

— يالك من نذل جبان ، أتتجاسر إلى هذا الحد أيها الصعلوك المربى ؟ إن كان يجرى فى دمك نخوة الرجال فترجل عن فرسك لأريك أينا يقطع لسان الآخر ! !

— لا تنفه بأكثر من هذا ، وانتظرنى ليصفى كل منا حسابه مع صاحبه ... ثم شرع فى النزول عن ظهر الجواد ، لكن الخائن لم يمهله حتى تستقر رجلاه على الأرض ، فقد سدد إليه سهما طائشاً نفذ إلى صدره ، وأصاب منه مقتلا فخر صريعاً تنزف منه الدماء غزيرة ، وهكذا مات إسحاق فى ميعة الصبا ، وريعان الشباب .

بهت القاتل وتسمرت رجلاه فى الأرض ، فلم يكن فى حسابه أن يموت غريمه هذه الميتة الوحيّة ، ولم يعد للأمر عدته . فتملكته الحيرة واستبد به الارتباك ولم يدر ماذا يفعل لينجو بنفسه . وبينما هو فى حاله تلك يتلفت ذات اليمين وذات اليسار إذ أقبل من بعيد خادم إسحاق ، وكان قد تأخر عنه قليلا ، فلما رآه القاتل يجرى نحوه ، أيقن أنه إن أدركه فسيقضى عليه لامحالة فأطلق ساقيه للريح وأسرع إلى المدينة ...

كانت الشمس قد توارت بالحجاب . وكان الظلام يتكاثف رويداً رويداً ، حين كان الشيخ إدريس قد بدأ يساوره القلق لتأخر إسحاق فى العودة بما لم يسبق له من قبل وهو يعلم أن هذه الليلة بالذات يجب أن يبكر فيها ليشترك مع أبيه فى استقبال الضيوف . ولما استبد به الانتظار وقارب وقت المغرب أن ينتهى طلب إلى خادمه أن يعد له الماء فى الحديقة ليتوضأ . ثم خرج إلى باب الحديقة ونظر هنا وهناك لعله قادم من بعيد ولكنه رجع كئيباً كاسف البال . ومع ذلك لم يدر بخلده أن ابنه فى هذه اللحظة يسبح فى بحر من الدماء عند مقابر الخلفاء فى سفح الجبل فلما أخذ مكانه ليتوضأ قال له خادمه :

— ستؤدى الصلاة هنا أم فى المسجد يا سيدى ؟

فأجابه الشيخ الكبير :

— سأصلى فى المسجد يا بنى إن شاء الله — مع الإمام . ألم تسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة » وقوله عليه صلوات الله وسلامه « لا صلاة لجار المسجد إلا فى المسجد » ولم يكد الرجل يتم حديثه حتى لاح لهم شبح يجرى خلف سور الحديقة مسرعاً إليهم . فسأل الرجل خادمه قائلا :

— يمكنك أن تتبين هذا الذى يسرع الخطا إلينا ؟

— لا ياسيدى . ولكن حركاته وملامحه ترشد إلى أنه ليس من أهل هذه البلاد .

— إنه يجرى فى ارتياع واضطراب كأن خطراً داهما يتعقبه

(البقية فى العدد القادم)

وهبى اسماعيل مغربى

سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

دليل تليفونات الأقاليم طبعة أكتوبر سنة ١٩٤٧

يمكنكم أن تحجزوا الأماكن التى تختارونها للاعلان عن أعمالكم فى دليل تليفونات الأقاليم المزمع صدوره فى شهر أكتوبر سنة ١٩٤٧ .

والاعلان فى الدليل المذكور له مزايا خاصة إذ يتجدد كل يوم طوال مدة سريان الطبعة ويتداوله آلاف المشتركين وبه أماكن خالية تستطيعون استئجارها بأسعار زهيدة .

ولزيادة الايضاح اتصلوا : —

بقسم النشر والاعلانات

بالادارة العامة — بمحطة مصر

مطبعة الرسالة